



دراسة في تركيبهم القَبَلي ومراكز إدارتهم

د. صالح أحمد العلي

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر



أهل الفسطاط

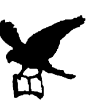
دراسة في تركيبهم القبلي ومراكز إدارتهم

أهل الفسطاط

دراسة في تركيبهم القَبَلي ومراكز إدارتهم

د. صالح أحمد العلي

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك - بناية الوهاد

ص. ب. ٨٣٧٥ - بيروت - لبنان

تلفون: ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)

تلفون + فاكس: ٣٤٢٠٠٥ - ٣٥٣٠٠٠ (١ ٩٦١)

e-mail: allprint@cyberia.net.lb

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

تصميم الغلاف: عباس مكي

الاخراج الفني: زاهية عاصي

تقديم

الفسطاط واحدٌ من الأمصار الثلاثة التي أمر الخليفة عمر بن الخطاب بإقامتها بعد فتح العراق ومصر، والآخران هما الكوفة والبصرة في العراق. وكان قوام سكان كل من هذه الأمصار الثلاثة المقاتلة العرب الذين قَدِموا من مختلف أرجاء شبه الجزيرة العربية، للمشاركة في قتال جيوش الفرس والروم، وتوسيع الدولة الإسلامية، وتثبيت الأمن، والاستقرار فيها. وقد شُيِّد كل من هذه الأمصار الثلاثة بلصق مدينة قديمة، فشيدت الفسطاط بالقرب من هيلوبوليس، إلا أنها كانت تختلف أساساً عنها من حيث إنّ عُظْمَ من استوطنها عند تأسيسها هم العرب المقاتلة الذين كان واجبهم الأول الحفاظ على الكفاية العسكرية، وما تتطلبه من تدريب وتجهيزات وتوجيهات في مثل الحياة الخاصة بالمقاتلة.

وضع الخليفة عمر بن الخطاب أسس التنظيمات السكانية والإدارية والعسكرية لهذه الأمصار، وراعى توفير متطلباتهم، بما يوزعه عليهم من عطاء سنوي ورزق شهري يؤمن حاجاتهم المعاشية.

غير أن الخليفة عمر حرص على تثبيت التوجيهات التي تؤمن الاستقرار والانسجام في سكانها الذين جاؤوا من مختلف أرجاء شبه جزيرة العرب مع تقاليدهم وأساليب حياتهم المنوعة، وإن كان يجمعهم اللغة العربية التي يتكلمون بها جميعاً، والإسلام الذي كان أساس جمعهم، والقوة التي صاغت المثل العليا التي يقدرون دورها في تحقيق انتصاراتهم العظيمة بسرعة مذهلة. فالعروبة والإسلام هما السمتان الأساسيتان اللتان تميزان هذه الأمصار، ومنها الفسطاط.

كان عمر بن الخطاب يدرك أن الواجب الأساس، للعرب الذين استوطنوا هذه الأمصار، هو القتال من أجل توسيع الدولة الجديدة التي تكون كلمة الله

فيها هي العليا؛ وذلك بتوفير الأمن والاستقرار من أجل إنماء حياة حضرية دائمة تؤمن للفرد من أهلها ما يمكّنه من استغلال قابلياته ومواهبه، بهدف ديمومة المجتمع المستقر، ونموه، وتقدمه لتثبيت حضارة تعبر عما تصبو إليه الانسانية. وكان ذلك من أبرز الأهداف التي راعاها عمر في التنظيمات التي حرص على تحقيقها؛ ولعل هذه السمة الحضارية كانت أهم من مجرد الاهتمام بالمتطلبات العسكرية؛ وأدرك عمر أن تحقيق هذا الهدف يتطلب مراعاة الأحوال الخاصة لمستوطني هذه الأمصار، من تأصل الروح البدوية، وتنوع الروابط القبلية. وانطلاقاً من هذا المبدأ، فإنه لم يُقم تنظيم هذه الأمصار على أسس عسكرية، ذلك أنه لم ينظم سكانها وخططها إلى رجالة وفرسان، ولم يخصص فيها مناطق للتدريب العسكري، أو لإقامة المخازن للسلاح، بل قسمها على أسس قبلية، مع مراعاة تثبيت الإسلام والوحدة الجامعة، فجعلها خططاً: لكل عشيرة خطة تقيم فيها، وتنشئ لها مسجداً يجمع أفرادها لإقامة الصلوات وعقد الاجتماعات و«المساجد مجالس الأشراف». وراعى عمر أهمية السلطة العليا الجامعة لأهل المصر؛ فأقر إنشاء مسجد جامع واحد يجمعهم، يقع في الأغلب قرب دار الإمارة التي يقيم فيها الوالي، والدواوين المحدودة بتنظيم الأمور المالية التي أبرز مهامها حفظ الاموال المجباة، وتوزيع العطاء، وضرب النقود. كما أقر إنشاء قضاء مركزه الجامع؛ وشرطة تؤمن حفظ النظام وردع من يعمل على خرقه، متحدياً المجتمع والسلطة المركزية.

استوطنت أعداد من الأعاجم في هذه الأمصار منذ أوائل تأسيسها؛ ووُضِعَت لهم التنظيمات التي وضعت للعرب، ثم تزايد تقاطرهم على مر الأيام طلباً للرزق، أو للتمتع بالحياة الجديدة من الأمن والحرية التي توفرها الأمصار، وأقام بعضهم مع العرب؛ غير أن أكثرهم اتخذ مقامه في خطط خاصة في أطراف خطط العرب؛ ولم يغيروا سمات الأمصار العامة من العروبة والإسلام اللذين كان لهما أثر في التوجهات الفكرية وإنمائها في الجوانب المتصلة بهما، ولاسيّما الآداب وعلوم الفقه والدين والشريعة؛ كان ذلك منذ أول تأسيسها، وبتشجيع من الخليفة عمر.

إن الدراسة التي نقدمها للقارئ مقتصرة على أحوال أهل الفسطاط من حيث تركيبهم وتنظيمهم السكاني والإداري، في العهود الإسلامية الأولى؛ والواقع أن الفسطاط تشترك مع الأمصار الأخرى في كثير من الخطوط العامة للتنظيمات، غير أنها تتفرد بعدد من الخصائص الجديدة.

كتبت منذ أواسط القرن الثالث الهجري كتب عديدة عن أحوال الفسطاط وتنظيمها؛ ومع أن بعض ما وصلنا منها، وبالأخص كتاب «فتوح مصر» لابن عبد الحكم، يتضمن مادة غنية اعتمدها من تلاه فنقلوا أكثرها، مضيفين إليها بعض الزيادات عن الأحوال التالية، فإن أكثر ما كتبوه تضمن حقائق «جامدة» قلما تذكر أهميتها وتطورها.

وجرت في الأزمنة الحديثة، ولاسيّما الثلث الأول من هذا القرن، حفريات ودراسات، يعتمد أكثرها على الكتب الأولى، وهي غنية وقيمة وجديرة بالتقدير، غير أن أيًا منها لم يكن مستوعباً الموضوع كلّه، لإغفال ما في كتب التراجم، ولا سيّما كتاب عبد الرحمن بن يونس، فضلاً عن أنها لم تُعنَ بتنظيم السكان والإدارة. وبحثنا الحالي هو محاولة لسد هذا النقص معتمدين فيه على المادة المشتتة التي لم تحظَ بما تستحقه من التقدير الجدير به.

إن بحثنا الحالي يتسق مع أبحاثٍ نشرنا بعضها عن البصرة والكوفة والقيروان، ومدن أخرى، تبرز هذه التنظيمات، وتظهر أن هذه الأمصار قامت منذ أول تأسيسها على أساس أنها ليست مجرد مستوطنات عسكرية، بل ـ وهذا هو الأهم ـ قامت على أسس حضرية، وأن تنظيماتها تيسر إنماء الحياة الحضرية، بما فيها احترام الانسان، وانسجامه السلمي مع الآخرين من أفراد المجتمع؛ كما قامت على إنماء العلاقات الاجتماعية السليمة، والحياة الفكرية التي هي أبرز ما يميز الحضارة. ولا ندعي الكمال في بحثنا، فالكمال لله وحده، وإنما نرجو أن نكون قد توفقنا في لفت النظر إلى جانب لم يحظَ بالتقدير اللازم، يعين الباحثين في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

والله من وراء القصد

الدكتور صالح احمد العلي

الفصل الاول

تأسيس الفسطاط وتطورها

تأسيس الفسطاط وتطور سكانها الأولين

أنشئت الفسطاط سنة ٢١هـ، بعد أن أتم العرب إقصاء الروم عن مصر، وضمها إلى دولة الإسلام. وكان الغرض من إنشائها، أن تكون، كسائر الأمصار، قاعدة يقيم فيها، على الدوام، المقاتلةُ العرب وعيالهم؛ وأن تكون مركز الولاة والإدارة لمصر والبلاد التي يقوم بفتحها هؤلاء المقاتلة. ولا بد أنه روعي في تنظيمها التوجهات العامة التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ومن أبرزها ألاّ يفصلها عن جزيرة العرب والمدينة حاجز مائي قد يعطل اتصالها بالمركز، وأن يكون مناخها ملائماً للإبل. ويقصد بذلك أن يكون مناخها شبه صحراوي وهو المناخ الذي كان يعيش فيه المقاتلة العرب قبل التحاقهم بجيوش الفتوح. وقد وضع الخليفة عمر مبادئ عامة تحقق حاجات الدولة وغاياتها، وأبرزها الاستقرار والحفاظ على متطلبات القتال مع مراعاة المثل الإسلامية في توفير السلم والانسجام بين السكان، وتثبيت ما يعزز إنماء الحياة الحضرية والفكرية التي تكوّن دعامة المجتمع الإسلامي. غير أن تطبيق هذه المبادئ العامة لم يَحُل دون مراعاة بعض الأحوال الخاصة التي تفرد بها أهل الفسطاط، بما في ذلك تكوينهم القبلي، وما تقتضيه متطلبات الحياة والواجبات القتالية المطلوبة منهم.

احتفظت الفسطاط بمكانتها الرئيسة المتميزة في مصر حتى أواسط القرن

الثالث الهجري، بعد أن قطع المعتصم العطاء عن أهلها، وأدخل قوات من الأتراك إلى مصر للقيام بالواجبات القتالية في تعزيز مكانة الولاة وقمع الثورات، وما تلا ذلك من إنشاء ابن طولون «العسكر» ثم «تشييد الفاطميين القاهرة»، وما رافق ذلك من تطورات كثيرة، مع أنهما كلتيهما غير بعيدتين عن الفسطاط. إلا أن كل ذلك أثر في إضعاف أهميتها؛ ومن المؤكد أن أعداداً غير قليلة من سكانها انتقلوا إلى هاتين المدينتين والى مناطق متفرقة من مصر. ومن عوامل تدهورها المجاعات التي تعرضت لها، فضلاً عمّا تخلّلها من موجات غلاء. وكانت الضربة القاصمة عليها عندما أحرقها الوزير الفاطمي شاور سنة ٥٦٤هـ لمنع وقوعها بأيدي الصليبيين.

لم تكن الفسطاط، إبان ازدهارها في القرنين الأولين، منعزلة عن عدد من التيارات السياسية والعسكرية في الأمصار الأخرى. فقد شارك عدد من مقاتلتها في الاحتجاج على الخليفة عثمان، ثم في قتله. كما شاركوا في عدد من الحوادث السياسية التي تلت موت يزيد بن معاوية وتولّي مروان بن محمد الخلافة، وتأثر بعضهم بالخوارج والشيعة.

كانت الحملة، التي أنفذها عمر بن الخطاب من فلسطين لفتح مصر، قوامها في البداية ثلاثة آلاف وخمسمائة[1]، ثم أردفها بقوة أخرى انضمت إلى الأولى، وشاركت في الفتح الأول، وأصبح عددها الإجمالي ثلاثة عشر ألفاً[2]. ذكر ابن عبد الحكم أن غافق كانت ثلث الناس، وأن بلي ثلث قضاعه[3] ولم يذكر تفاصيل عن عدد كل من بقية العشائر التي شاركت في الفتح. ولا بد أن انتصار العرب في الفتوح الأولى دفع أعداداً غير قليلة إلى الانتقال من ديارهم في شبه الجزيرة والانضمام إلى المقاتلة العرب[4]. وقد أشارت المصادر إليهم وأسمتهم «الأمداد»، وكان عددهم ملحوظاً في زمن

(١) فتوح مصر وإفريقية لابن عبد الحكم ٥٦. وسنرمز إليه «ابن عبد الحكم» اختصاراً.
(٢) ابن عبد الحكم ٩، ٦١.
(٣) المصدر نفسه ٥٦، ١٢١.
(٤) المصدر نفسه ١١٦.

خلافة عثمان. فقد ذكر ابن عبد الحكم أثَر قدومهم في تنظيم الخطط، فقال «ولما مدت الأمداد في زمان عثمان بن عفان ومابعد ذلك، وكثر الناس، وسّع كل قوم لبني أبيهم حتى كثر البنيان والتأم»[1]. وذكر «حضرموت مع أخوالهم من تجيب، ثم قدمت مادتهم في أيام عثمان، فاختطوا سلهم والصدف»[2] وذكر في مكان آخر أن «الأشباء كانوا مع أخوالهم في تجيب فقدمت مادتهم في أيام عثمان فاختطوا شرقي سلهم حتى صحروا، فتحول إليهم من أراد التحول ممن كان منهم بتجيب والصدف، واحتط مكانهم عبد الله بن كليب من الأشباء خطة في بني ايدعان عند دار أبي الرواغ»[3].

كانت الفسطاط المركز الرئيس الثابت للمقاتلة العرب في مصر، ومنها تنفذ الحملات المؤقتة إلى المناطق التي تتطلب الأحوال إرسالها.

وذكر ابن عبد الحكم تنظيم إنفاذ البعوث في زمن خلافة عمر بن الخطاب، فقال إن الاسكندرية لم يكن فيها خطط «فلما استقامت لهم البلاد قطع لهم عمرو بن العاص لرباط الاسكندرية ربع الناس، وربعاً في السواحل، والنصف يقيمون معه، وكان يصبر بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر، ويعقب بعدها شاتية ستة أشهر، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه من معه من أصحابه، واتخذوا فيه أخائذ.. وكانوا يسكنون حتى اذا قفلوا سكنها الروم، وعليهم مرمتها»[4]، ولعل مثل هذا حدث للربع المرسل إلى السواحل، والذي لم تذكر عنه تفاصيل، غير ان هذا لم يمنع من اتخاذ بعض المقاتلة البارزين قطائع لهم في الاسكندرية[5].

ذكر المقريزي أن عمرو بن العاص عندما قرر تأسيس الفسطاط لتكون قاعدة للمقاتلة، ولّى توزيع القطائع معاوية بن حديج التجيبي، وشريك بن سمي

---

(١) ابن عبد الحكم ١٢٨.
(٢) المصدر نفسه ١٢٣.
(٣) المصدر نفسه ١٢٤.
(٤) المصدر نفسه ١٣٠ ـ ١٣١
(٥) المصدر نفسه ١٣٠

القطيعي، وعمر بن مخرم الخولاني، وحيوية بن ناشرة المعافرى، وكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا القبائل[1]، وكل هؤلاء من أهل اليمن، ولعله اختارهم لمواهبهم الشخصية ومعرفتهم بالعشائر وإدراكهم الأسس المقبولة في تطبيقها.

أنفذ العرب من الفسطاط حملات توغلت في جنوب مصر حتى وصلت بلاد النوبة، كما أنفذوا حملات إلى الغرب توغلت إلى طرابلس، ثم وصلت في زمن خلافة عثمان إلى أطراف تونس، وكانت سمة الغزو واضحة فيها. استقرت الخلافة لمعاوية فتابع إنفاذ الحملات لضمّ أقاليم شمال إفريقية إلى الدولة الإسلامية، وكان ولاة مصر يقومون بإدارة الحملات. ومن المؤكّد أن غالبية مقاتلتها من مصر؛ وإن كان فيها كذلك قوات من أهل الحجاز وبلاد الشام.

لم تذكر المصادر معلومات واضحة عن التركيب القبلي للحملات المؤقتة التي تنفذ ثم تعود إلى الفسطاط؛ ويبدو أن تأثيرها لم يكن كبيراً في التركيب القبلي في الفسطاط، إذ إن عدد القتلى فيها قليل، وهم من مختلف العشائر. أما التأثير الكبير فكان من إنشاء القيروان التي أنشئت لتكون قاعدة ثابتة؛ ولا بد أن كثيراً من هؤلاء نقلوا من الفسطاط. غير أن المصادر لا تقدم تفاصيل عن التكوين القبلي لمن استقرّ في القيروان، أو أثره في التركيب العشائري[2].

---

(١) «خطط مصر» للمقريزي ١/ ٢٩٧؛ وسنرمز اليه «المقريزي» اختصاراً.

(٢) انظر بحثنا «القيروان في العهود الإسلامية الأولى» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي م٤٣ ج٢/١٩٩٦.

الفصل الثاني

مصادر الدراسة

كتب التاريخ العام

أوردت كتب التاريخ المعنية بالفتوح والحوادث السياسية معلومات عن الفسطاط، ويغلب فيها اسم «مصر» و«أهل مصر». وأبرز الكتب الأولى تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ) الذي أورد معلومات عن فتوح مصر، ومشاركتهم في بعض فتوح شمال إفريقية ومشاركتهم في عدد من الحوادث والفتن وأبرزها حصار عثمان ومقتله، والحوادث التي تلت وفاة يزيد، وحركة عبد الله بن الزبير، ثم الحوادث التي رافقت تولية مروان بن محمد الخلافة حتى نشوء الدولة العباسية. وقد نقل معلوماته عن عدد كبير من الإخباريين الأولين[١].

ويتصل بتاريخ الطبري كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري (ت٢٩٧هـ) الذي، وإن كان مرتّباً تبعاً لرجال الأسر، إلا أن المادة التي فيه تعنى بالحوادث السياسية وتعتمد على معظم مصادر تاريخ الطبري من الرواة الأولين، وأبرزهم الواقدي والمدائني وابن الكلبي[٢]. وقد ضم المطبوع من أنساب الأشراف، وهو الجزء الخامس، معلومات غنية عن فتنة عثمان، وبيعة مروان بن الحكم، وحركة عبد الله بن الزبير.

---

(١) انظر تفاصيل وافية في كتاب «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين و«نشأة التاريخ الإسلامي» لعبد العزيز الدوري و«موارد تاريخ الطبري» لجواد علي، المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي.

(٢) انظر تفاصيل وافية في كتاب «موارد البلاذري» لمحمد المشهداني، وهو جزءان.

كان هذان الكتابان، وخصوصاً تاريخ الطبري، المصدر المعتمد لمعظم من تلاه من المؤرخين وبخاصة ابن الاثير (ت٦٣٠هـ) في كتابه «الكامل في التاريخ» وابن كثير (ت٧٧٤هـ) في كتابه «البداية والنهاية» وابن خلدون في كتابه «العبر».

ذكرت هذه الكتب في ثنايا معلوماتها عدداً من الرجال البارزين المشاركين في الأحداث، وذكرت أسماءهم والعشائر التي ينتسب إليها معظمهم. ومعلوماتها مفيدة غير أنها مشتتة وغير شاملة.

مؤرخو الفسطاط

عني عدد من العلماء المصريين البارزين الأولين بأخبار أحوال الفسطاط وأهلها، ومن أبرزهم الليث بن سعد (٩٤ ـ ١٧٥هـ) وكاتبه عبد الله بن صالح (٢٢٣هـ) وعبد الله بن لهيعة الحضرمي (٩٧ ـ ١٧٤هـ) وسعيد بن كثير بن عفير (١٤٦ ـ ٢٢٦هـ) ويزيد بن ابي حبيب (ت١٢٨هـ). ولم يصلنا كتاب لأي منهم، بل وصلتنا روايات عنهم نقلها ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) الذي يعد كتابه «فتوح مصر وافريقية»، أغنى الكتب الأولى في وصف خطط الفسطاط الذي صار المعتمد الأساس للمتأخرين الذين نقلوا ما كتبه عنها، إضافة إلى معلوماته عمّن نزل مصر من الرجال، وعن كثير من حوادث الفتوح التي أسهموا فيها. واعتمد بالدرجة الأولى على ابن لهيعة (ت١٧٤هـ) والليث بن سعد (ت١٧٥هـ) ويحيى بن عبد الله بن بكير (ت٢٣١هـ)؛ كما نقل عن عثمان بن صالح (ت٢١٩هـ) ويحيى بن أيوب (ت١٦٣هـ) وخالد بن حميد (ت٢٦٩هـ).

ويلي كتاب ابن عبد الحكم في القدم والأهمية كتاب محمد بن يوسف الكندي (ت٣١٢هـ): «الولاة والقضاة» الذي اهتم بذكر الحوادث السياسية التي شارك فيها أهل الفسطاط، وهو يسميهم في الغالب «المصريّين». كما ذكر معلومات عن جوانب متعددة من إداراتها أو رجالها. ودقق في ذكر تواريخ الحوادث، ونسبة أغلب من ذكرهم من الرجال إلى عشائرهم. كما ألف عدداً من الكتب في خطط مصر سنفرد ذكرها في مكانها، وأشار إلى نقله عدداً من

المصادر الأولى، ومنهم ابن لهيعة؛ والمفضل بن فضالة (ت٢١٢هـ) وعبد الله بن سعيد (ت٣٢٦هـ)[١].

كتابات البلدانيين

ذكر عدد من مؤلفي البلدان في العهود الإسلامية الأولى، وكلهم من أهل المشرق، معلومات متباينة في مقدارها عن الفسطاط:

ابن خرداذبه

إن أقدم كتب البلدانيين التي وصلتنا هو كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبه، فذكر أن «الفسطاط مدينة مصر»، والفسطاط هي فسطاط عمرو بن العاص باب اليون ملك الروم[٢]، ثم ذكر كورها ومقدار خراجها[٣]، ووصف محطات الطرق اليها[٤]، وتابعه قدامة بن جعفر[٥]، وأشار إلى مرور النيل بها[٦].

اليعقوبي

وخص اليعقوبي الفسطاط ببضعة أسطر فقال: «وكانت الفسطاط تعرف بباب اليون، وهو الموضع المعروف بالقصر، فلما افتتح عمرو بن العاص باب اليون في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ، اختطت قبائل العرب حول فسطاط عمرو بن العاص، فسميت الفسطاط لهذا، ثم اتسعوا في البلد، فاختطوا على النيل، واختطت قبائل العرب في المواضع المنسوبة إلى كل قبيلة، وبنى

---

(١) انظر فصل نوري في المقدمة التي كتبها لكتاب ابن عبد الحكم، وروفن جيست في مقدمته لكتاب الكندي، في بحث المصادر الأولى لكل من الكتابين المذكورين. وانظر مقدمة كتاب المقفى الكبير للمقريزي ٢/ ٢٣٤ مصر ـ دار الكتب المصرية ٥٧٣٢.

(٢) المسالك والممالك ٨٠.

(٣) المصدر نفسه ٣٨١.

(٤) المصدر نفسه ٧٦، ٨٤، ١٧، ٤٩، ١٩.

(٥) الخراج ٢٢٠، ٢٢٥.

(٦) المصدر نفسه ١٧٦.

عمرو بن العاص مسجد جامعها، ودار إمارتها المعروفة بدار الرمل، وجعل الأسواق محيطة بالمسجد الجامع في الجانب الشرقي من النيل، وجعل لكل قبيلة محرساً وعريناً، وابتنى حصن الجيزة في الجانب الشرقي من النيل، وجعل مسلحته للمسلمين، وأسكنه قوما»[١].

ثم عدد مدن مصر وكورها وما فيها من صناعات، وقبائلها من بليّ وجهينة وغيرهم من أخلاط الناس، ثم تحدث عن معادن التبر، وتحدث عن مقدار خراج مصر[٢].

الاصطخري وابن حوقل

ذكر الاصطخري موقع الفسطاط. ثم قال «والفسطاط مدينة كبيرة على نحو الثلث من بغداد ومقداره نحو ثلثي فرسخ، والفسطاط على غاية العمارة والخصب، وبالفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب إليهم محلها مثل ما بالكوفة والبصرة إلا أنها أقل من ذلك. وهي سبخة معظم بنائها بالطوب طبقات، وأكثر السفل بها غير مسكونة، وربما بلغت طبقات الدار الواحدة ثماني طبقات، إلا من طرف منها يسمى الموقف، فإنه أصلب قليلاً، وبها بناء مفترش وفق الممر «على شط النيل» وبها مسجدان للجمعة بنى احدهما عمرو بن العاص في وسط الأسواق، والآخر بها على الموقف بناه أحمد بن طولون، وخارج مصر أبنية بناها أحمد بن طولون تكون زيادة على ميل كان يسكنها وتسمى القطائع. ثم كتب عن أرض مصر ومعادنها، وجبل المقطم وقبر الشافعي ومدن مصر ومنتوجاتها»[٣].

وتابع ابن حوقل الاصطخري، فنقل عنه، ونقل المتأخرون عن ابن حوقل.

(١) البلدان ٣٣٠ ـ ٣٣١.
(٢) المصدر نفسه ٣٤١ ـ ٣٤٢.
(٣) المصدر نفسه ٤٩ ـ ٥٥.

ابن الفقيه

وأورد ابن الفقيه الهمداني في كتابه «البلدان» معلومات عن النيل[1]، وفتح مصر[2]، وحشيشة الريباس[3] وعن الاسكندرية، وعين شمس، وعن كور مصر[4] وكلها ليست لها علاقة وثيقة بالفسطاط التي لم يقدم معلومات عنها.

ابن رسته

قدّم ابن رسته في كتابه «الأعلاق النفيسة» معلومات عن كل من الأهرام، وعين شمس، والنيل، وبعض الكنائس والجبال في مصر. ووصف الفسطاط وصفاً مقتضباً تفرد فيه بوصف بيت المال، فقال: «ومدينة مصر (الفسطاط) مدينة عظيمة، وحول المدينة على حافتي النيل نحو من ثلاثة فراسخ، ثم وصف الأهرام ببضعة أسطر. وأتبعه بوصف الجامع وبيت المال فيه، ثم تحدث باقتضاب عن الجيزة وبساتينها وجسرها ومقياس النيل، ثم المقطم، ثم فصل الحديث عن الاسكندرية وسواريها ومنارتها»[5].

المقدسي

قدم المقدسي وصفاً واسعاً للفسطاط والنشاط الاقتصادي والفكري فيها، وكان مما ذكره «فهو مصر مصر وناسخ بغداد ومفخر للإسلام ومتجر الأنام، وأجلّ من مدينة السلام، خزانة المغرب ومطرح المشرق، . . . ليس في الأمصار آهلُ منه، كثير الأجلّة والمشايخ، عجيب المتجر والخصائص، حسن الأسواق والمعايش، إلى حماماته المنتهى، ولقياسيره لباقة وبهاء، آهل من نيسابور، وأجلّ من البصرة وأكبر من دمشق(. . .) وهو نحو ثلثي فرسخ، طبقات بعضها فوق بعض(. . .)، ودورهم أربع طبقات، وخمس كالمنابر، يدخل إليها الضياء

---

(١) البلدان ٦٣.
(٢) المصدر نفسه ٦٥.
(٣) المصدر نفسه ٦٦.
(٤) المصدر نفسه ٧٣.
(٥) الأعلاق النفيسة ١١٦ ـ ١١٧.

من الوسط، وسمعت أنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس... وهذا الجامع السفلاني من عمل عمرو بن العاص وفيه منبر حسن البناء وفي حيطانه شيء من الفيسفس مع أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق، والازدحام فيه أكثر من الجوامع الستّ، قد التفت عليه الأسواق، إلا أن بينها وبينه من نحو القِبلة دار الشط وخزائن وميضاة[1].

كتب الخطط والمؤلفات المفردة فيها

للخطط أهمية خاصة في معرفة القبائل والعشائر التي استوطنت الفسطاط، وبخاصة في أوائل تأسيسها. فتسميتها بأسماء العشائر تقدم البرهان الذي لا ينقض في معرفة هذه العشائر، وكثير من بطونها. كما أن وصف حدودها يقدم معلومات عن العشائر التي خُطَطُها تحادد العشيرة الموصوفة، وهي تذكر أحياناً سعة الخطة، مما يدل على كثرة أفرادها. كما أنها تذكر بعض المعالم العمرانية البارزة فيها.

ومع أن الخطط احتفظت بتسمياتها الأولى وكانت متوارثة، إلا أن الكتب أشارت إلى التطورات السكانية التي طرأت على عدد من الخطط فتناولت بعض أفراد الخطة الواحدة، أو مجيء أفراد في أزمنة تالية. كما أنها اقتصرت على ذكر تسميات الخطط، دون التمييز بين القبائل الكبيرة، والعشائر والبطون الصغيرة أو مواقع مساكنها ضمن الخطة الكبيرة. وهي مهما كانت واسعة إلا أنها في الغالب غير شاملة وكثيراً ما تغفل ذكر خطط بعض العشائر، أو تبرز موقع مساكن رجال قد لا تكون لهم عشائر كبيرة. وأخيراً، فإنها قلّما تذكر التطوّرات السكانية، والاجتماعية وأهمية بعض المؤسسات الحضرية كالأسواق والمساجد والحمّامات.

فالخطط تقدّم مادّة أوّلية قيّمة، لكنّها غير كاملة في مقدار أهميتها أو تطوّرها وتنظيمها، فالأولى بها أن تحمل معلومات تشتمل عليها كتب الرجال في ذكر نسبة المترجمين إلى عشائرهم.

---

(١) أحسن التقاسيم ١١٦ ـ ١١٧.

المؤلفات في خطط الفسطاط[1]

إن أقدم ما وصل إلينا منها هو الفصل الطويل الذي كتبه ابن عبد الحكم (ت٢٥٧) في كتابه «فتوح مصر والمغرب»، فقد خصص لوصف خططها (٩١ ـ ١٨٣) يضاف إليها فصل عن الريف والمرتبعات والخيل (١٤٣ ـ ١٤٥). وكان ما كتبه مُعْتَمَدَ عددٍ كبيرٍ ممن تلاه من أصحاب الخطط، فنقلوا كثيراً مما ذكره حرفياً. أما بقية الكتاب، فهي أبحاث عن تاريخ الفتوح، وقد أشرنا إليها في حديثنا عن كتب الفتوح[2].

حظيت الفسطاط بعدد من المؤلفات أفردت لخططها وخطط المعالم الأخرى التي أنشئت بعدها، خصوصاً عسكر ابن طولون والقاهرة.

وفي ما يلي عرض لهذه المؤلفات مرتبة تبعاً لمؤلفيها.

مؤلفات الكندي (ت ٣٥٠هـ)

كان الكندي أول من ألّف كتباً مختصة بخطط الفسطاط اعتمدها عدد ممّن تلاه. وفي هذا يقول المقريزي: «الكندي والقضاعي وعليهما يُعوَّل في معرفة خطط مصر، ومن قبلهما ابن عبد الحكم»[3]. وقد وردت إشارات إلى اعتماد القضاعي على الكندي، ونقله عنه معلومات عن بعض المواقع، ومنها الجند ومسجد الأقدام في المعافر[4]، وزقاق القناديل[5]، وسمنود[6]. ووصف المقريزي أن الكندي أقدر في ذلك[7]. كما ألف الكندي عدة كتب عن خطط الفسطاط، فضلاً عن كتابيه «أمراء مصر» و«قضاة مصر بالفسطاط».

---

(١) انظر عرضاً وافياً لمؤلفات الخطط المصرية كتاب محمد عبد الله عنان «مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية» وانظر كتاب فؤاد سزكين «تاريخ التراث العربي» جـ ٢.

(٢) انظر ص١٣.

(٣) الخطط ٢/ ٢٨٢.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٤٥.

(٥) معجم البلدان ٢/ ٩٣٧.

(٦) المصدر نفسه ٣/ ١٤٥.

(٧) الخطط ٢/ ٤٤٤.

ألف الكندي كتباً عديدة يبدو أنها متكاملة، عن خطط مصر وأهل الراية، والجند الغربي، والموالي، والخندق[1]، ولم يصلنا أي منها، وانما وصلتنا منها مقتطفات المقريزي بنقله عنها، ولعل نصوصاً أخرى نقلها منها دون ان يحدد اسم الكتاب المنقول عنه.

فأما كتاب الكندي في الخطط، فإن المقريزي ذكره في مقدمة كتابه عن الخطط ونص على نقله عنه في موضع واحد عند كلامه عما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثة[2]، ولعله نقل عنه نصوصاً أخرى لم يشر إلى مصدرها.

ونقل ابن دقماق عن الكندي، دون أن يذكر اسم كتابه، معلومات عن عدد من الخطط. والراجح أنها من كتاب الخطط. وهذه المنقولات تشمل خطط عبد الله الأسلمي، وبديل بن عبدالله، وابن عروس، ودار المسور بن مخرجة المخزومي وزقاق القناديل، وزقاق سلام بن عيسى، وزقاق الأيادي، ودار عرفة بن كرمة بن ابي روخة، كرم أبو الجوز، ودار أبي أيوب، والجزيرة[3].

أما كتاب «أخبار مسجد أهل الراية»، فقد صرح المقريزي بنقله عنه عند الكلام عن موقعه وتوسيعه وبعض ما حوله من دور[4]. وأشار ابن دقماق إلى نقله عنه عن دار عمرو بن أبي عمرو بن محارب[5].

وأما كتاب الخندق، فقد أشار إليه المقريزي في مكان واحد[6]، وأشار إليه ابن حجر في عدة مواضع من كتاب الإصابة[7].

---

(١) انظر المقفي الكبير ٢/ ٢٣٤، مخطوطة دار الكتب، ٤٧٣ تاريخ، وانظر المقدمة القيمة التي كتبها - وفن جست لكتاب «الأمراء والقضاة» للكندي ٨ - ١٢.
(٢) الخطط ٢/ ٨٢.
(٣) هذه الإشارات مذكوره في كتاب الانتصار على التوالي (١) ٧٢ (٢) ٨(٣) ٩ (٤) ١١ (٥) ١٣ (٦) ١٨ (٧) ١٩ (٨) ٢٣ (٩) ٥٣ (١٠) ٧٦ (١١) ١٠٩.
(٤) ٢/ ٢٤٦ - ٧.
(٥) الانتصار ١٤.
(٦) الخطط ٢/ ١٩٣.
(٧) الإصابة ١/ ٢٢٥، ٢/ ٢٢٧، ٧٧٢، ٣/ ٢١٩.

أما كتاب الموالي، فقد صرح المقريزي بنقله عنه في خمسة مواضع شملت علاقة ابن سند بعمرو بن العاص[1]، وأبي غنيم الذي كان عريفاً في موالي عبد العزيز بن مروان[2]، والحارث بن مسكين الذي ولي القضاء للمتوكّل وبني رحبة[3]، والحارث بن مسكين الذي ولي القضاء للعراق[4]، ونقل قوله زيد بن حبيب أن مصر كانت علوية فقلبها مع عثمان[5]، وذكره ابن دقماق عند الكلام عن ابن شبّة[6] وعن عمرو بن الحارث بن سهم[7].

القضاعي

اعتبر المقزيري كتاب القضاعي عن خطط مصر ثاني كتاب مهم بعد كتاب الكندي[8]. والقضاعي هو أبو محمد عبد الله بن سلامة، توفى سنة ٤٥٧هـ قبل سني الشدة المستنصرية، وقد ألف عدة كتب منها كتاب «الشهاب اللامع» وكتاب «عيون المعارف في أخبار الخلائف»[9] الذي طبع قبل سنوات.

ومن أبرز كتبه «المختار في ذكر الخطط والآثار» وهو كتاب مفقود وصلتنا منه نقول كثيرة، وبخاصة من ياقوت الحموي، وابن ظهيرة، والشريف الجواني، والمقريزي، يتبين منها الخطوط العامة لكتابه، وفي بعض هذه المقتطفات إشارات إلى اعتماده على الكندي، ومن هذه إشارتان في ياقوت إلى هذا الاعتماد في كلامه عن زقاق القناديل[10]، وعن سمنود[11]، وإشارة للمقريزي إلى ذلك في الكلام عن مسجد الجند[12].

---

(١) الخطط ٢/١٣٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/١٦١.
(٣) المصدر نفسه ٢/٢٥٠.
(٤) المصدر نفسه ١/١٧١.
(٥) الخطط ٢/٣٣٤.
(٦) الانتصار ٥١.
(٧) المصدر نفسه ٦٦.
(٨) الخطط ١/٥.
(٩) قلائد الجمان ٤٢.
(١٠) معجم البلدان ٢/٩٣٧.
(١١) المصدر نفسه البلدان ٣/١٤٥.
(١٢) الخطط ١/٤٢٥.

تُظهر النقول الكثيرة عن القضاعي الخطوط العامة لكتابه وهي تشمل ذكر كور مصر، وأخبارها قبل الإسلام وخططها بعد الإسلام.

فأما كور مصر، فإن ياقوت نقل عنه فيها سبعة عشر نصاً متفرقاً شملت البحيرة، والحوراء، وحربتا، وأبشيا، وصا، وراية، والقلزم، ومدين، وعدد هذه الكور في نص شامل[1].

وأشار المقريزي إلى بحث القضاعي كور مصر، ولعله نقل عنه كثيراً في كلامه المفصل عن كور مصر، التي لم يذكر مصدره فيها.

بحث القضاعي عجائب النيل[2] وأول من سكن مصر[3]، وتسمية مصر[4]. ونقلت المصادر، وبخاصة ياقوت والمقريزي، عن القضاعي معلومات عن بعض عشائر الفسطاط ومعالمها العمرانية، وشمل ذلك بعض من حضر فتحها ومنهم الصدق[5]، وخولان[6]، ورعيد[7] والمعافر[8]، وجيشان[9]، ولخم وجذام[10]، وراسدة[11] والحمراء[12] ومحلة الأندلس[13]، ونقل الأزد من البصرة[14]، والظاهر[15].

---

(١) معجم البلدان ٤/٥٤٩.
(٢) المصدر نفسه ٤/٦١٨، ٨٦٤.
(٣) ابن ظهيره ١٦، خطط مصر ٢/٢٠٤.
(٤) المصدر نفسه ١١.
(٥) قلائد الجمان ٣٩.
(٦) المصدر نفسه ١٠١.
(٧) المصدر نفسه ١١١.
(٨) المصدر نفسه ١١.
(٩) معجم البلدان ٢/١٧٨.
(١٠) قلائد الجمان ٦٩.
(١١) معجم البلدان ١/٣٧٨.
(١٢) المصدر نفسه ٢/٣٣٣.
(١٣) المصدر نفسه ١/٣٧٨.
(١٤) المصدر نفسه ١/٤٥٠.
(١٥) المصدر نفسه ٣/٥٧٢.

ويحث من معالمها العمرانية المقطم[١]، والمقياس[٢] والجزيرة[٣]، وجامع ابن طولون[٤]، ومنبر عمرو بن العاص[٥]، وجامع القرافة[٦]، ومسجد الأقدام[٧]، وقبر الشافعي[٨]، ودار الليث بن سيد[٩]، وسوق بربر[١٠]، وسوق وردان[١١] وبركة الحبش[١٢]، ودرب الطين[١٣]، وزقاق القناديل[١٤]، كما عدّد ما فيها من معالم عمرانية[١٥].

محمد بن بركات

محمد بن بركات النحوي، وهو تلميذ القضاعي، ألف كتاباً نبّه به الأفضل أبا القاسم شاهنشاه أمير الجيوش دالّاً على مواضع قد اغتصبت وتملكت[١٦].

وابن بركات تلميذ طاهر أحمد بن يشاد (ت٤٥٤هـ) الذي كان يتولى تحرير الكتب الصادرة عن ديوان الإنشاء في الدولة المصرية ويصحح ما فيها من كسر، كما أنه كان متصدراً للإقراء في جامع عمرو بن العاص[١٧] فلما توفي طاهر تصدّر في موضعه تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات السعيدي النحوي[١٨]

---

(١) معجم البلدان ٤/٦٠٨، ٣/٧٨٦.
(٢) المصدر نفسه ٤/٦١٨ ـ ٦١١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٠.
(٤) المصدر نفسه ٣/٨٩٨.
(٥) خطط المقريزي ٢/ ٤٧٠.
(٦) المصدر نفسه ٢/٣١٨، ٤٤٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٤٤٤.
(٨) قلائد الجمان ١٩٢.
(٩) معجم البلدان ٤/ ٦٥، قلائد الجمان ١١١.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ١٩٣.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ١٩٤.
(١٢) خطط المقريزي ١/ ١٩٢.
(١٣) معجم البلدان ٣/ ٦٧٦.
(١٤) خطط المقريزي ١/ ٣٣٠.
(١٥) معجم البلدان ٣/ ٩٣١.
(١٦) المقريزي ١/ ٩.
(١٧) القفطي، أنباء الرواة ١/ ٧.
(١٨) المصدر نفسه ٢/ ٩٥.

وكان معتمداً من العلم عند الشريف الجواني[1].

ابن زولاق

للحسن بن إبراهيم بن زولاق (ت ٣٨٧هـ) كتابه المشهور في تاريخ مصر وهو كتاب لم يطبع. وفي مكتبات العالم نسخ متفرقة منه، لعلها أجزاء من كتاب كبير[2]. ومن هذه المخطوطات جزء في «فضائل مصر» تطابق مادته كتاباً منشوراً بنفس العنوان منسوباً إلى الكندي. وقد نص ابن ظهيرة على نقله من ابن زولاق معلومات عن أحوال الفسطاط في عهودها الأولى. ولعل هذه المعلومات من كتابه الكبير، ومن الذي أفرده للفسطاط.

الشريف الجواني

ذكر المقريزي في عرضه مؤلفي الخطط، بعد كلامه على الكندي والقضاعي ومحمد بن بركات، (كتاب الشريف محمد بن أسعد الجواني «معجم ما أشكل من الخطط» مشيراً فيه إلى معالم قد أصبحت مواتاً أو قد اندثرت)[3]. وذكرت له بعض المصادر كتاب «الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون»، لعله الكتاب الذي نقل منه من كتب عن القبائل.

ذكر المقريزي ترجمة مقتضبة للجواني، فذكر أنه نسب بسبب ضيعة من ضياع المدينة يقال لها الجوانية، ولم يزل أجداده ببغداد إلى حد قدوم والده أسعد النحوي مع أبيه من بغداد إلى مصر، ومولده بالموصل في سنة ٤٩٢هـ[4]. ووصفه «هو أقعد بخطط مصر من ابن سعيد»[5]، وأشار إلى نقله في كتاب النقط عن القضاعي هي عدد مساجد الفسطاط[6].

---

(١) القفطي، أنباء الرواة ٢/٣٩، وانظر طبقات النحاة اللغويين لابن قاضي شهبة ٧٦، والمصادر المذكورة في هامشه.
(٢) تاريخ التراث العلمي لسزكين٤.
(٣) خطط المقريزي ١/٥.
(٤) المصدر نفسه ٢٥/١٤.
(٥) المصدر نفسه ١/١٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/٤٠٩.

نقل المقريزي عن كتاب النقط موقع راشدة[١]، والمعافر[٢] والمساجد المتبقية على الجبل[٣] وجامع القرافة[٤] والاحتفالات[٥]، والجواسق والقصور[٦] ومزارع جامع الفسطاط[٧] ومكان فسطاط عمرو[٨] وقتلى أهل الشام في الخندق[٩].

ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ)

ومن أبرز المؤلفين في خطط مصر ابن دقماق؛ وهو إبراهيم بن محمد أيدمر القاهري الذي ألف كتاباً عن تاريخ مصر من اثني عشر مجلداً، وتاريخاً للملك الظاهر برقوق، وكتاباً مفقوداً عن القاهرة والإسكندرية. ومن أثمن كتبه «الانتصار لواسطة عقد الأمصار» الذي خص كل جزء منه بمدينة. والكتاب يصف بتفصيل أحوال الفسطاط في أيام ازدهارها وبعض مظاهر نموها. ولا نبالغ في القول إنه من الكتب الثلاثة المهمّة عن الفسطاط، والآخران ماكتبه ابن عبد الحكم، ثم المقريزي[١٠] الذي تلمذ لابن دقماق، بيد أنه لم يشر في كتابه «المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار» إلى كتاب أستاذه.

ابن المتوج

ومن المؤلفين في خطط الفسطاط تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج، له كتاب «إيعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل». وقد ذكر المقريزي أنه آخر من كتب في الخطط كتاباً بيّن فيه جملاً من أحوال مصر إلى أعوام بضع سنة

---

(١) خطط المقريزي ١/ ٢٨٣.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٥١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٤٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٤٩١.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٥٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٦.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٩٦.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٧٣.
(١٠) اعتمدنا في المعلومات عنه على مقال بدرسون في دائرة المعارف الإسلامية.

٧٢٠هـ، وقد دثر بعده معظم ذلك في وباء سنة ٧٤٩هـ ثم في وباء سنة ٧٦٦هـ ثم في غلاء سنة ٧٧٦هـ[1]. وقال في مكان آخر من هذا الكتاب هو آخر ما رآه، من الكتب التي صنعت في خطط مصر وقطع على سنة ٧٢٥هـ، ثم نقل منه عدداً مما كان فيها من الخطط والمعالم العمرانية[2].

احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)

له مكانه متميزة، بالإضافة إلى كتبه العديدة الضخمة في تاريخ مصر، فإنه مؤلف «المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار». شمل بحثه تاريخ مصر، بما في ذلك الفسطاط، وقطائع ابن طولون، والقاهرة المعزّية، نقل فيه كثيراً عمّن سبقوه، وأشار إلى من نقل عنهم في كثير من المواضع، وأغفل في بعضها ذكر مصادرها التي يمكن معرفتها بمقارنة مادته بما طبع منها. ويخرج عن نطاق بحثنا تحليل مصادرها فيها، ونقتصر على القول بأن له في الفسطاط كتاباً مفرداً لم يصل إلينا، ولعل كثيراً من مادته متضمنة في كتابه الكبير «المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار».

ابن ظهيرة والسيوطي

إبراهيم بن علي، ابن ظهيرة (٨٢٥ ـ ٨٩١هـ) له كتاب «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة» طبعة مصطفى السقا وكامل المهندس سنة ١٩٦٩م، أورد فيه معلومات عن تاريخ مصر وحكامها ومنتوجاتها وفضائلها وعجائبها وثغورها ومساجدها، ونقل معلومات متفردة عن بعض من سبقه.

وألّف السيوطي «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» وفيه معلومات واسعة عن الفسطاط وعلمائها، أخذها ممّن سبقه من المؤلّفين.

وفيما عدا كتاب الخطط للمقريزي، وبعض كتاب «الانتصار» لابن دقماق وكتابي ابن سعيد وابن ظهيرة، فإن كافة هذه الكتب المفقودة، لم يصلنا منها

---

(١) خطط المقريزي ١/٣٣٩.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٤٢.

غير أسمائها ومقتبسات قليلة مقتضبة نقلها المقريزي في خططه، والقلقشندي في «صبح الأعشى». ويبدو أنها كانت كتباً شاملة للفسطاط والعسكر وقطائع ابن طولون والقاهرة المعزّية، فهي أكثر توضيحاً لما آلت إليه أحوال الفسطاط من تطورات متأخرة. ويبدو أن ما كتبه ابن عبد الحكم عن الخطط الأولى للفسطاط ظل المعتمد الأكبر الذي يتناقله المتأخرون، وإن كانت توجد إشارات إلى أهمية بعض ما فُقِد. فالقلقشندي يذكر: «وإذا نظرت إلى خطط الكندي والقضاعي والشريف النسّابة عرفت ما كان الفسطاط عليه من العمارة وما صار عليه الآن». وأشار في مكان آخر، إلى تطور أهلها ثم انتقال الناس منها وتدهور أحوالها بعد بناء القاهرة، ولكنه لم يقدم التفاصيل عنها. ونقل القلقشندي ابن عبد الظاهر عن القضاعي معلومات متفرقة عن الخطط الأولى في الفسطاط؛ وعن ابن زولاق عدد مساجد عشائر الفسطاط، مما يشير إلى أنه بحث خططها الأولى؛ وأورد معلومات لم يذكرها ابن عبد الحكم؛ وهذه المعلومات قليلة. ويبقى ما كتبه ابن عبد الحكم أوسع ما وصل إلينا.

وفي الأزمنة الحديثة نشر علي مبارك كتابه الضخم «الخطط التوفيقية» معتمداً على خطط المقريزي، مع إضافات قيّمة. ويحث فيه بالتفصيل القاهرة ومعالمها العمرانية، ونشره في خمسة مجلدات ضخمة حتى سنتي (١٨٨٨ ـ ١٨٨٩م). ولم يخصص فصلاً للفسطاط. وفي اللغات الأوروبية، شارك العلماء الذين صحبوا نابليون في حملته على مصر، في تأليف كتاب «وصف مصر»؛ وقد صدر في ستة مجلدات، (خلال سنوات ١٨٠٩ ـ ١٨٢٣م) ثم أعيد طبعه في آخر سنة ١٨٢٣م، وترجم الجزآن الأوّلان منه إلى اللغة العربية، في عشرة أجزاء.

وفي مطلع القرن العشرين عُني جاستون فييت بدراسة الفسطاط والقاهرة، ونشر في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية بحثاً عن مصادر دراسة خطط القاهرة (١٩٠٢م). ثم رادفه ببحث قيم عن خطط الفسطاط نشره في المجلة المذكورة سنة ١٩٠٧م. ثم أعد نشرة علمية لخطط المقريزي، نشر بعضها في ثلاثة مجلدات ضخمة.

ونشر كازانوفا بحثاً بعنوان: «مقال في إعادة رسم خطط مدينة الفسطاط» نشره في العدد الخامس والثلاثين من مجلة MIFAO سنة ١٩١٩م، ونشر مونيير دي فيلان بحثاً عن قصر الشمع نشره في مجلة الجمعية الجغرافية بمصر (١٩٥٣). ونشر كليرجيه كتاباً وافياً عن القاهرة في مجلدين سنة ١٩٣٤. كما نشر علي بهدت ثمار بحوثه الأثرية عن الفسطاط سنة ١٩٢٨. ونشرت كوبياك دراسة عن الفسطاط والتطور الحضاري الأول، في وارسو سنة ١٩٨٢.

وصدر في القاهرة سنة ١٩٦٧ ثلاثة مجلدات فيها خلاصة أبحاث ألقيت بمناسبة مرور ألف سنة على تأسيس القاهرة، وفيها فصل كتبه جمال محرز عن بعض جوانب المعالم العمرانية في الفسطاط؛ وبخاصة بيوت السكن التي كشفت عنها الحفريات.

ونشر جان كلود فاديت، في المجلد الثاني والعشرين من مجلة الدراسات الشرقية، عالج فيه «تمصير العرب الجنوبيين في الفسطاط عقب الفتح»، وأشار إلى أصول أهل اليمن وكثرتهم في الفسطاط، وبعض من ظهر من علمائهم.

ونشر سكانلون، في كتابه «المدينة الإسلامية» (١٩١٥) فصلاً عن الفسطاط تحدث فيه عن بعض نتائج الحفريات التي أجراها في الفسطاط؛ وبدأها بمقدمة عن الأبحاث التي نشرت عن المدن الإسلامية.

ونشرت فريدسملو كوبياك في سنة ١٩٨٢م كتاب «الفسطاط: تأسيسها وتطور الحياة الحضرية فيها» بحثت فيه موقع الفسطاط الجغرافي وتأسيسها ومستوطني القطائع، وتطور أحوال السكان، غير أن اهتمامها بالأرض أدّى إلى بعض الغموض الذي يعمل هذا البحث على إكماله باستيعاب ما جاء في كتب الرجال، وبخاصة كتاب عبد الرحمن بن يونس، وبالتنظيم الذي يمكن الافادة فيه مما جاء في هذا الكتاب، كما أنها لم تستوعب انتقال المقاتلة من الفسطاط إلى المغرب والأندلس، أو تركيب جيوش الحملات التي أنفذت من الفسطاط،

وأثر التيارات والفرق، وبخاصة الخوارج، كما أنها لم تشر إلى التوجيهات الفكرية في الفسطاط، مما كان للأحوال فيها أثر يتطلّب التوضيح. وتأكيدها على ما جاء في كتب الخطط المعتمدة على ابن عبد الحكم، قادها إلى إغفال عدد من الإشارات القيّمة في الكتب الأخرى عن عشائر وخطط لم يذكرها ابن عبد الحكم، إضافة إلى أن آراءها في عملية التحضر آراء جديرة بالتأمل، ولكن لا يمكن الادعاء بأنها حاسمة.

حدود نطاق كتب الخطط

ذكر كل من ابن عبد الحكم، والقلقشندي، والمقريزي، وابن دقماق خطط العشائر في الفسطاط، وحدود عدد كل خطة، وبعض ما فيها من معالم عمرانية، ومعلوماتهم متشابهة في نصوصها وتسلسلها، مما يدلّ على أنها معتمدة على أصل واحد وهو ابن عبد الحكم[1]. وذكروا تفاصيل خطط بعض العشائر، ولا سيما خطط حجر الأزد، ومهرة، ولخم، وغافق، والصدف، وحضرموت، وتجيب، وخولان، ومذحج، وزف، وحمير، ويافع، ورعين والمعافر، ثم الكلاع فضلاً عن وائل وهمدان والحمراء.

لم يذكر ابن عبد الحكم اللفيف والقبض، مع أنّه يُدخل في خطط هذه العشائر، عشائر أخرى صغيرة. وقد ذكر في حدود الخطط غنث، وتنوخ، وسلهم، والأشعريين، والسكاسك.

ظل وصف ابن عبد الحكم لخطط الفسطاط المعتمد الأساس لمن تلاه، كما كان أساس الدراسات العديدة الحديثة عن خطط الفسطاط. وقد أشار باقتضاب إلى بعض التغييرات التالية التي حدثت في سكان هذه الخطط، فذكر: «كانت الأمداد في زمن عثمان بن عفان وما بعد ذلك، وكثر الناس، ووسّع كل

---

(١) بحث ابن عبد الحكم قطائع عدد من البارزين في الفسطاط وخاصة حول الجامع (٩٢ ـ ١١٥، ١٣٢ ـ ١٣٩) وخطط العشائر (١١٥ ـ ١٣٠) والمربعات (١٤٢ ـ ١٤٣).

قوم لبني أبيهم حتى كثر البنيان والتأم[1] أي إن الخطط ظلت ثابتة، ولكن عدد سكان كل منها تطور.

كما أنه ذكر تغيير بعض العشائر مواضع خططها[2]

كتب الأنساب

لكتب الأنساب في دراسة التركيب القبلي وتنظيماته أهمية توازي، ان لم تفق، المصادر التي ذكرناها، لأن هذه الكتب تذكر أسماء العشائر ورجالها ومكانتهم في التنظيم والمجتمع، وتشير إلى العلاقات النَّسَبِيّة بين هذه العشائر، ومما يزيد في أهميتها أنّ كثيراً منها تذكر الأحوال في المراكز التي استقرت فيها، وأن كثيراً منها تذكر بعض تنظيمات الديوان القائمة على الأسس القبلية في المراكز التي ألفت فيها.

وقد ألفت منذ العهود الأولى كتب في الأنساب، وأكثر مؤلفيها من أهل الحجاز، وأهل الكوفة والبصرة، وأبرزها كتاب الأنساب لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأكثر معلوماتها أنساب أهل هذين المصرين والجزيرة العربية[3].

أما أهل اليمن وهم غالبية سكان الفسطاط، فلم يذكر إلا ثلاثة من المؤلفين الأولين في أنساب أهل اليمن: وهم هانئ بن المنذر، وأحمد بن الحباب، وأحمد بن محمد بن سعيد، ولم تصل إلينا أي من مؤلفاتهم، بل وصلت إلينا المقتطفات في كتاب عبد الرحمن بن يونس الذي سنتحدث عنه، ووردت في كتاب «الإكمال» لابن ماكولا، وكتاب «الأنساب» للسمعاني. ويبدو أن ابن ماكولا أخذ معلوماته من ابن يونس، وأن السمعاني أخذها من ابن ماكولا[4].

---

(١) ابن عبد الحكم ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه ١٢٤.

(٣) انظر العرض الذي قدمه احسان النص ونشره متسلسلاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٩٣.

(٤) أعدت بحثاً أرجو نشره قريباً عن هؤلاء النسابين.

وذكر ابن العديم (ت٦٦٠هـ) أنه قرأ في جمهرة أنساب اليمن معلومات عن أهل اليمن. وأنه قرأ في كتاب وقع إليه من القاهرة، في جماهير أنساب اليمن وأنساب ملوكها، ونقل منه نصّاً نسبه إلى عبيد بن شريه، فيه حديث مع معاوية بن أبي سفيان عن أصول بعض من في بلاد الشام. ولكنه لم يذكر كلاماً له عن أهل مصر.

ذكر الحازمي (ت٥٨٣هـ) في كتابه «عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب» قبائل وبطوناً، نص عن بعضها أن «عامتهم في مصر»، وهو بلا شك يقصد الفسطاط.

وفيما يأتي ما ذكر من القبائل وبطونها ممن أشار إلى أنّها كانت أو كان أحد بطونها في مصر؛ ولعله أغفل اختصاراً الإشارة إلى عدد آخر كان عامتهم، أو أكثرهم في مصر.

تجيب: سوم، سعد خلاوه، عباد، عامر بن عدي، ابدي، السكون، الصدف، قطيفه.

رعين: حجر، ذبحان، ردجان، الأملوك، جيشان، يافع، كحلان، ميتم.

المعافر: الجنة، خليفة، مرة.

حضرموت : الصدف، زوف، الأجذوم، فيقه.

وذكر قبائل أشار إلى بطون منها كان عامتهم في مصر.

الكلاع : زياد، جنب.

مراد : غطيف، عبس.

مذحج : زعافر، جهرة، صدار، جنب، أمد، جعفر.

جذام : حرو، حمير، دهنة، شجر، لابد، تيم، أحدب.

خولان : جداد.

همدان : ناشرة.

جونكة (متفرقة).

كندة: البد، برح.

السحول : ميتم، السلف، نخلان، الأشرع، عنة، بكالم، بكيل، بهيل، ناحضة، ذو خناخ، بعدان، الخبار، حوط.

حمير : يرسم، بكال، بس، توخم، جيلان، جرش، شرعب، حافة، العتقاء.

النخع : بكر، جهان.

خثعم : اطلب.

ومن المفيد أن نذكر أن ابن الحائك الهمداني أورد بعض المعلومات عن أهل اليمن، فذكر ان السحول أكثرها بالشام ومصر[1]، وأن للغوث بن أحمد بن حمير بمصر وإفريقية عدداً[2]، كما ذكر أن معاوية بن حديج سيد تجيب ورأس اليمانية بمصر[3]، وتحدث كثيراً عن أبرهة بن الصباح[4]، وذكر أن بني حجر وبني نصير من الصدف بمصر[5]، وأن الشعب بمصر من الأشاعرة[6]. وذكر أن أكثر بني حي (وهم من خولان)[7] في صعيد مصر، كما ذكر أن حران «وهم أكثر خولان بعد رزاخ، وذكر أنّ من حران الدعا والشمر والشر والأصبح[8]، وأن أكثر بطون شرار بن خولان في مصر[9]؛ وذكر في صفة جزيرة العرب أن

---

(1) الاكليل ٢/ ٢٣٠.
(2) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٧، ٢٤٣.
(3) المصدر نفسه ٢/ ٢٢٠.
(4) المصدر نفسه ٢/ ١٥٤، ١٥٨.
(5) المصدر نفسه ٢/ ٣٨.
(6) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٥.
(7) المصدر نفسه ١/ ٢١٨.
(8) المصدر نفسه ١/ ٣٢٥.
(9) المصدر نفسه ١/ ٣٢٥.

بني حي وهم من خولان، في أخميم في مصر[1]، وأن بني سليمان والسرو في مصر[2].

إن بعض هذه المعلومات تشير إلى انتشار أهل اليمن في مصر خارج الفسطاط في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه ابن الحائك؛ واللّافت أن الكتب التي عنيت بذكر أماكن وجود العرب في بلاد مصر خارج الفسطاط، وأبرزها كتب ابن فضل الله العمري، والنويري، والمقريزي، والقلقشندي، لا تحدد بداية توسع انتشار العرب في بلدان مصر، ولعل هذا الانتشار يرجع بعضه إلى هجرة بعض أهل الفسطاط بعد قطع المعتصم العطاء عنهم، ويرجع بعضه الآخر إلى هجرات تالية قدمت مصر من اليمن.

كتب رجال وتاريخ ابن يونس

في كتب الرجال معلومات لا يداني المفصَّل منها في دراسة السكان وتنظيماتهم، ما وصل إلينا عن الفسطاط في كتاب «تاريخ مصر» الذي ألفه عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص الصدفي، وأمّه طليحة التجيبية. عاش في الفسطاط وتوفى في ربيع الآخر سنة ٣٦٤، وكان أبوه يونس بن عبد الأعلى من أبرز شيوخ الطبري في التفسير؛ فقد نقل عنه في عشرات المواضع في كل جزء من اجزاء التفسير الثلاثين، وذكر، في موضع نقله منه مساند معلوماته، الشيوخ الذين تلمذ لهم وهم كثيرون، وأغلبهم من علماء مصر الأولين، وفيهم عدد من أهل المدينة؛ مما يدل على أنه رحل إليها وقضى بها أمداً ينهل من علمائها، ولم يذكر في شيوخه أحداً من أهل العراق أو الشام أو الأمصار الأخرى[3].

ذكرت المصادر اسم كتابين ألّفهما عبد الرحمن بن يونس هما «تاريخ مصر»

---

(١) صفة جزيرة العرب ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٢٥.

(٣) أعددت دراسة أولية لمساند في تفسيره، ويظهر منها ان يونس بن عبد الأعلى من أوسع من نقل الطبري عنهم.

و«الغرباء»؛ ولعل الكتاب الثاني قد بحث فيمن وفد إلى مصر من الأقطار الأخرى. ونقل ابن حيان في كتابه «المقتبس» نصوصاً كثيرة لابن يونس عن رجال من أهل القيروان وأهل الأندلس دون أن يشير إلى اسم الكتاب الذي نقل عنه؛ ما يعني أن يكون هذا الكتاب كتاباً ثالثاً لابن يونس، أو أنه كتاب «الغرباء» الذي يبحث فيمن غادر مصر إلى بلاد أخرى.

اعتمد المؤلفون القدماء تاريخ ابن يونس، وأشاروا إلى نسختين موثقتين من مخطوطاته أولاهما نسخة أبي عبد الله الصوري، المسموعة من أبي عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المصري عن أبي الفتح بن مسرور عن المؤلف، وهي النسخة التي اعتمدها ابن ماكولا[1]؛ والثانية نسخة عبد الله بن محمد بن الثلاج، وقد اعتمدها ابن حيان[2]. ونقل ابن عساكر عن ابن يونس من طريق ابن مندة.

لم تصل إلينا نسخة كاملة من تاريخ ابن يونس، بل وصلتنا نصوص كثيرة منقولة عنه، وقد جمعت ما نقله عنه كل من ابن ماكولا في «الإكمال في معرفة الرجال» وابن حجر في «الإصابة في معرفة الصحابة» وهما أوسع من نقل عنه، كما نقلت ما أورده كل من الخطيب في «تاريخ بغداد» وابن عساكر في «تاريخ دمشق» فضلاً عن عدد من كتب اخرى، وكانت حصيلتها كبيرة، ولا أدّعي أني استوعبت كل الكتاب، ولكنها تصلح أن تكون أساساً لفكرة عامة عن مادته، وليس عن تنظيم الكتاب الذي كثيراً ما تتحكّم في الاختيارات المقتبسة منه الاهتمامات الخاصة للمقتبسين، ما يجعلنا نظن أنّها قد لا تمثل بمجموعها الهيكل العام للكتاب وكل محتواه.

يتضح من هذه النقول أن ابن يونس اهتم بالرجال، وذكر عدداً ممن شارك في فتح مصر، غير أن أكثر ما نقله كان عن رجال عاشوا في القرن الثالث.

(١) الإكمال ٣/٢، ٢٧٨، ٤٣٤، ٧/١٣٥، ١٥٨.

(٢) المقتبس ٣٥٨؛ وانظر ١٤٠، ٢٥٣، ٣٢٧.

إن النصوص الكثيرة التي نقلها المؤلفون عن ابن يونس تظهر أن كتابه عني بذكر الرجال، غير أنه لم يصف أحد كل محتوى الكتاب ليبيّن إن كان مقتصراً على الرجال، أو مشتملاً على أبحاث في تاريخ مصر وفضائلها وخططها؛ كما انهم لم يصفوا ترتيب مادة الكتاب، وما اذا كانت منظمة تبعاً للسوابق والطبقات، أو وفاقاً للترتيب الأبجدي أو أنه راعى الأمرين كليهما؟ كالذي فعله ابن حجر في «الإصابة» مع العلم أن في المقتطفات إشارات إلى من شهد فتح مصر واهتماماً بتسجيل تواريخ الوفيات بالسنة والشهر وأحياناً بالأيام، وهو يكثر من ذكر من عاش في القرن الثالث.

ويظهر من النصوص التي نقلت عن كتاب ابن يونس أنه عني بذكر اسم المترجَم له واسم ابيه ونسبته القبلية، وذكر في هذه النسبة المجموعات الكبرى والبطون الفرعية لبعضها، وبذلك قدم مادة لصورة مفصلة عن التركيب القبلي للعرب من أهل الفسطاط.

والمعلومات التي نقلت عن معظم المترجمين تتعلق بضبط أسمائهم ونسبتهم، مع إشارات إلى شيوخهم ومن روى عنهم، وليست فيه معلومات كثيرة عن دورهم السياسي أو ما شغلوه من مناصب إدارية.

وأشار ابن يونس في بعض ما ذكره إلى مصادره، وأبرزها سعيد بن غفير، وهانئ بن المنذر، كما أشار إلى اعتماده على ما في الدواوين، ولا سيّما ديوان حِمْيَر، وحضرموت. وقد يكون اعتماده هذا قائماً على ما نقله من هانئ بن المنذر أو مما اطّلع عليه شخصياً، فإذا صحّ هذا الافتراض الأخير فإنه يُظهر أن سجلات الدواوين، المنظمة تبعاً للبطون، كانت محفوظة حتى بعد توقف العطاء في أول خلافة المعتصم (سنة ٢١٨هـ)، كما أن النسبة إلى البطون ظلت مهمة حتى بعد وقف صرف العطاء للعرب.

ويختلف مقدار ما نقله عن رجال بطون العرب من التراجم، فقد نقل عن بعضها تراجم رجال كثيرين، واقتصر في البعض الأخر على تراجم عدد قليل، ولا يمكن البت في سبب هذا التباين.

الفصل الثالث

قبائل أهل الفسطاط وبطونها

يتبين من الفصل السابق، الذي عرضنا فيه مصادر البحث عن أهل مصر وتنظيماتهم في العهود الإسلامية الأولى، أن أوسع مصدر معتمد هوكتاب «تاريخ مصر» لابن يونس. فهو وإن كان بحثاً في رجال أهل الفسطاط، إلا أنّ فيه معلومات متفرقة قيمة عن عشائرهم وتنظيماتهم، استُمد بعضها من سجلات الديوان التي بقيت بعد قطع المعتصم العطاء عن أهل مصر. واستمر الناس يحتفظون باسم العشائر التي ينتمون اليها. وسيكون ما ذكره ابن يونس أساس بحثنا عن كثير من هذه التنظيمات.

يكرر كتاب ابن يونس الفصل الذي كتبه ابن عبد الحكم، وذكر فيه منازل معظم الأفراد وخطط العشائر التي نزلت في الفسطاط؛ غير أن في بحثه بعض الثغرات فهو لا يحدد خطط هذه العشائر ولا يفصّل فيها أو يستوعبها. وإنّ ما ذكره عن خطط يحصب والسكاسك، وعبس، وخولان، وآيدعان، ويشكر، يثبت أنه لم يستوعب تغيير خطط العشائر. وذكر الأمر نفسه في بطون بعض العشائر ومنها سعد من تجيب، وذكر أن همدان ويافع وأصبح وطائفة من البحر كانت خططها في الجيزة.

نظم ابن عبد الحكم معلوماته على أساس الخطط، أي على رقعة الأرض التي تشغلها العشيرة، ولم يشر إلى مدى سعة خطة كل عشيرة أو عدد رجالها وأهلها، ووصفه مستوعب، ولكنه لم يصل إلى مستوى ما ذكره كل من ابن زباله عن خطط الأنصار واليهود، وابن شبّه عن خطط المهاجرين في المدينة،

وكذلك الأزرقي عن خطط مكّة ورباعها، واليعقوبي عن خطط بغداد وسامرّاء، ولا ندخل في ذلك الكتب المتأخرة عن وصف خطط مدن مثل دمشق في كتاب ابن عساكر، وابن سيرابيون وابن الفقيه عن بغداد.

وذكر ابن عبد الحكم مرتبعات عدد من العشائر وهي بلي، ومهرة، ولخم، والصدف، وحضرموت، وتجيب، وخولان، ومراد، وحمير، وهذيل وعدوان، وعك، وفهم، ووعلة، وغفار، وأسلم، والمعافر، وخشين، وقيس، ولم يذكر اساس توزيع هذه المرتبعات، وإن كانت قد شملت عشائر الفسطاط كافة.

مساجد العشائر

ومن المصادر القيمة في معرفة العشائر وبطونها قائمة تفرّد بإيرادها ابن ظهيرة في كتابه «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة» نقلا عن ابن زولاق على المساجد الأولى في الفسطاط، ذكر في أولها مسجد عمرو بن العاص ثم عدداً من المساجد المنسوبة لأفراد[1]، وقال بعدها «وبمصر من مساجد الصحابة سوى ما ذكرنا مساجد بنوها حين الفتح عدتها نحو مِائتي مسجد وثلاثة وثلاثين مسجداً، وكانوا يبنونها بالآجر الأحمر ويبنون منازلهم باللبن» ثم ذكر هذه المساجد، وقد أعد ترتيبها تبعاً لعشائرها، وهي للمعافر خمسة وخمسون، ولخولان ثلاثة وعشرون، ولغافق واحد وعشرون، وللكلاع تسعة عشر، وللصرف من تجيب ومدلج ومهرة ورعين ثمانية عشر، وبالجيزة ثمانية عشر، وليحصب ثلاثة عشر، ولفهم ستة، ولهذيل خمسة، ولبني سلامان ويشكر اثنان، ولكل من سبأ والعيص وراشدة والأزد وبحر ويَنّه مسجد واحد، ثم قال «هذه المساجد في الخطط التي بنتها الصحابة، تعرف فيها الإجابة والبركة، وبالقرافة ونواحيها مساجد منها مسجد الاجابة ومسجد الكرب وبها دار الأبرار[2]. ومجموع الأرقام مئتان واثنان وخمسون يزيد على ما ذكر انها مئتان وثلاثة

(١) الفضائل الباهرة ١٠٢ ـ ١٠٤ ـ ٦.
(٢) المصدر نفسه ١٠٣ ـ ٧.

وثلاثون بتسعة عشر مسجداً يزاد اليها مساجد القرافة التي لم يذكر منها سوى مسجدين.

إن هذه القائمة تشير إلى عشائر المقاتلة وحجمها، ولكنها ليست دليلا قاطعاً على ذلك، فقد يكون في العشيرة الصغيرة أكثر من مسجد، وفي الكبيرة مسجد واحد أو مساجد قليلة؛ كما أنها لا تذكر ما تضمّه كل عشيرة كبيرة من فروع أصغر قد تكون لها أهمية أكبر مما يشير اليه حجمها، فهي «دليل» غير قاطع، ينبغي دراسته ضمن المعلومات التي تقدمها المصادر الأخرى.

أهل الراية

كان «أهل الراية» من أبرز المجموعات القبلية في الفسطاط، فقد ذكر ابن عبد الحكم أنهم كانوا من قبائل مختلفة.. كانوا قد شهدوا مع عمرو بن العاص الفتح، ولم يكن من قومهم عدد فيقفون على قدمهم تحت راياتهم، وكرهوا أن يكونوا تحت راية غير عشيرتهم، فقيل أهل الراية[1]، وكانوا حول المسجد بالقرب من خطط قريش والأنصار، وأسلم وغفار وجهينة، ولعلّه كان معهم أيضاً سهم وثقيف وجمح[2].

ذكر المقريزي والقلقشندي أنّ «أهل الراية جماعة من قريش والأنصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس بن بغيض وجرش من بني كنانة وليث بن بكر، والعتقاء منهم، إلا أن منزل العتقاء في غير الراية، فلم يكن لكل واحد منهم من العدد ما ينفرد بدعوته من الديوان، فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته، فجعل لهم عمرو بن العاص راية، ولم ينسبها إلى أحد فقال يكون موقفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، فكان ديوانهم عليها.. وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه»[3].

---

(١) ابن عبد الحكم ١١٦.
(٢) المصدر نفسه ٩١.
(٣) المقريزي ١/٩٧، صبح الأعشى ٣/٢٧.

إن المعلومات التي أوردها المقريزي والقلقشندي، ولم يذكرا مصدرها تُظهر أن أهل الراية هم العشائر التي كانت تقيم في الحجاز، ولعل روايتهما أدق.

الحمراء

ذكرت المصادر «الحمراء» وخططها في الفسطاط، وعرّفهم ابن عبد الحكم بقوله «وقد كان دخل مع عمرو بن العاص قوم من العجم يقال لهم الحمراء والفارسيون. فأما الحمراء فقوم من الروم فيهم بنو بنه وبنو الأزرق وبنو روبيل؛ والفارسيون من الفرس وفيهم زعموا أنهم قوم من الفرس الذين كانوا بصنعاء، وكان حامل لوائهم ابن بنه، واليه تنسب سقيفة ابن بنه التي بفسطاط مصر بالحمراء»[1]، وتجدر الاشارة إلى أنهم لم يسموا «الأبناء» وهو المصطلح الذي أطلق على الجالية الفارسية التي ترجع أصولها إلى جند الحملة التي أرسلها الساسانيون إلى اليمن لمساعدة سيف بن ذي يزن في طرد الأحباش، ثم استقروا في اليمن وأسلموا برمتهم وظهر منهم عدد من العلماء في اليمن وفي مكة؛ ولكن المصادر لم تذكر أنّ فارسيي الفسطاط من أبناء اليمن، ولم تشر إلى أصولهم مع العلم أنّ أبا عبيدة بن الجراح في معاهدته لأهل بعلبك ذكر، «عربها وورومها وفرسها»، مما يرجح احتمال أن يكون هؤلاء الفرس ممن كان يقيم في بلاد الشام ومصر ولا علاقة لهم بالدولة الساسانية، وأنهم كانوا «مقاتلة» جنداً، وليسوا «تجاراً» مدنيين؛ وقد يؤيد هذا ماورواه ابن لهيعة «قدم عمرو بن العاص بالحمراء الفارسيين من الشام، سماهم الحمراء لانهم عجم[2]». وذكر أن الحمراء فرّقوا عن منازلهم، فنزلت الروم الحمراء التي بالقنطرة، ونزل الفرس بناحية بني وائل؛ فمسجد الفارسيين هناك مشهور معروف[3].

وذكر ابن عبد الحكم خطة «الحمراء» عرضيّاً حيث قال «اختطت بنو بحر

---

(١) ابن عبد الحكم ١٢٤.
(٢) المصدر نفسه ١٢٩.
(٣) المصدر نفسه ١٢٩.

مما يلي بلى.. ثم اختطت بعدهم الحمراء.. ثم شرعت طائفة من سلامان إلى البحر ثم شرعت من بعدهم طائفة من فهم وكنانة، وفهم ثم الحمراء أيضاً إلى القنطرة»[1].

وذكر من المعالم الخططية «الدار المعروفة بدار المغازل بالحمراء مما باع يحيى بن سعيد فاشتراها منه ابن وردان وابن مسكين[2]»، وذكر أن عبد العزيز بن مروان اشترى خطة لابن رفاعة، ويقال إنه أخذها وعوّضه عن ذلك موضعه بالحمراء[3].

أورد المقريزي كلاماً طويلاً عن الحمراوات، أشار فيه إلى مصادر بعض ما نقله، ممّا يعين على تحديد زمنه، فنقل عن الكندي قوله: «كانت الحمراوات على ثلاثة: بنوبنه وروبيل، والأزرق، وكانوا ممّن سارع مع عمرو بن العاص من الشام إلى مصر من عجم الشام ممن كان رغب في الإسلام من قبل اليرموك ومن أهل قيسارية. ولم يقدم معلومات عن دوافع انضمامهم إلى جيوش المسلمين، والراجح أن انضمامهم إليها تم بعد فتح قيسارية، وهي آخر معقل قاوم فيه الروم المسلمين عند الفتح، غير أن الكندي لم يذكر في هذا النص الفارسيين. ثم نقل عن القضاعي قوله: «وإنما قيل الحمراء لنزول الروم بها، وهي خطط بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وفهم، وعدوان، وبعض الأزد وهم ثراد وبني بحر، وبني سلامان، ويشكر بن لخم، وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر، وبني بنه، وبني الأزرق، وهم من الروم، وبني روبيل وكان يهودياً فأسلم». إن هذا النص يشير إلى أن خطط الأعاجم الذين ذكرهم، مضيفاً «بني روبيل» إلى ما ذكره ابن عبد الحكم، كانت عند خطط أهل الراية.

ثم يتابع المقريزي كلامه الذي يبدو أنه منقول عن القضاعي، ويقول «فأوّل ذلك الحمراء الدنيا خطّة بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، ومنها خطّة ثراد

---

(١) ابن عبد الحكم ١١٦.
(٢) المصدر نفسه ١٠٠.
(٣) المصدر نفسه ٧٧.

من الأزد، وخطّة فهم بن عمرو بن قيس عيلان، ومنها خطّة بني بحر بن سوادة من الأزد.

ومن ذلك الحمراء الوسطى منها خطّة بني بنه، وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مِائة رجل، ومنها خطّة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر، ومنها خطة بني سلامان من الأزد، ومنها خطّة عدوان، ويظهر من هذا أن خطط بني بنه مختلطة بخطط عشائر عربية من أهل الراية.

ويتابع المقريزي كلامه المنقول أيضاً، فيما يظهر عن القضاعي فيقول: «ومن ذلك الحمراء القصوى، وهي خطّة بني الأزرق، وكان رومياً، حضر الفتح منهم أربعمائة، وخطّة بني روبيل، وكان يهودياً حضر الفتح منهم ألف رجل، وخطّة بني يشكر بن جزيلة بن لخم؛ وكانت منازل يشكر مفرّقة في الجبل، فدمّرت قديماً وعادت صحراء حتى جاءت المسودة، يعني جيوش بني العباس، فصحروها وهي الآن خراب»[1].

ثم نقل وصف ابن المتوج الأحوال العمرانية للحمراوات الثلاث من غير أن يذكر أهلها الأولين.

وذكر في مكان آخر أن «موضع العسكر كان يعرف في صدر الإسلام بالحمراء القصوى. وقد تقدّم أن الحمراء القصوى كانت خطة بني الأزرق وبني روبيل وبني يشكر بن هزيلة، ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء».

ويذكر أنه لما قدم مروان بن محمد نزل عساكر صالح بن علي وأبي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء حيث جبل يشكر حي العتقاء وأمر أصحابه بالبناء فبنوا ذلك في سنة ١٣٣هـ، فلما خرج صالح بن علي أكثر ما بينها إلى زمن موسى بن عيسى الهاشمي، فابتنوا فيه وصار مملوكاً لأهله، واتصل البناء بالفسطاط وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بمسجد بني

---

(١) المقريزي ١/ ٤: ٣.

شاكر. . ثم جاء أحمد بن طولون فبنى بها جامعه الموجود الآن.

تتفق قائمة المقريزي مع قائمة ابن عبد الحكم في خطط كثير من العشائر، ولكنه انفرد بذكر الخطط الخاصة لكل من اللفيف، وأهل الظاهر وهم العتقاء والحمراوات.

إن كلام المقريزي منظم على أسس طوبوغرافية، ولعل عدم ذكر الفارسيين الذين ذكرتهم كثير من المصادر، يرجع إلى أن الفارسيين كانت خططهم بعيدة عن هذه المنطقة. وإن وضعه الروم في الحمراوت قد يدل على أنهما كانا متجاورين، وعلى أي حال فإن خططهم لم تكن خالصة لهم، وإنما كان فيها من العرب قديماً، أما إشارته إلى عدد بني بنه، وبني روبيل فقد تكون في أرقامه مبالغة، ولكنها تدل على كثرتهم.

وذكر القلقشندي الحمراوات الثلاث، وذكر أن الدنيا هي لبلي، وثراد من الأزد وفهم، وبحر بن سواد؛ أما الوسطى فلبني بنه، وهذيل، وسلامان، والقصوى، وهم أربعمائة ليشكر بن جزيل بن لخم الذي أنشأ عنده أحمد بن طولون جامعه[1].

العتقاء

ذكر ابن عبد الحكم في كلامه عن خطط الأزد أنهم «أخذوا ما في السويقة، ثم تلقى مما يلي السويقة العتقاء، وهم قليل، ومسجد العتقاء، هناك مشهور، وللعتقاء من دار الحاجب حتى تهبط إلى بيطار بلال إلى السوق. وكان زيد بن الحرث الحجري، حجر حِمْيَر، كان عداده في العتقاء وكان عريفهم، وكان عبد الرحمن بن القاسم يتولّى العتقاء»[2].

ذكر المقريزي في كلامه على أهل الراية، أن «العتقاء منهم، إلا أن منزل العتقاء في غير الراية»، وذكر في خطط أهل الظاهر: العتقاء وهم جماعة من

---

(١) انظر: صبح الاعشى.
(٢) ابن عبد الحكم ١٢٠.

القبائل كانوا يقطنون على أيام النبي (ص) فأتى بهم السرى، فأعتقهم فقيل لهم العتقاء، وديوانهم مع أهل الراية، وخطّتهم بالظاهر متوسطة فيهم، وكان فيهم طوائف من الأزد وفهم، وأول هذه الخطة من شرقي خطة لخم. وتتصل بموضع العسكر، وفي هذه الخطه سويقة العراقيين، وعرفت بذلك لأن زياداً لمّا ولاه معاوية بن أبي سفيان البصرة غرّب جماعة من الأزد إلى مصر وبها مسلمة بن مخلد في سنة ٥٣هـ فأنزلهم فيها، فهم هنا نحو من مِائة وثلاثين، فقيل لموضعهم من الظاهر سوق العراقيين[١].

اللفيف

وذكر المقريزي خطّةً للّفيف بقوله: «كانوا مجتمعين في المنزل متفرّقين في الديوان، عامتهم من الأزد بن الحجر ومن غسان ومن شجاع؛ والتقى بهم نفر من جذام ولخم وتنوخ من قضاعة، فهم مجتمعون في المنزل متفرّقون في الراية، واولى خطّتهم مما يلي، الراية»[٢].

---

(١) الخطط ٢٩٧/١.

(٢) المصدر نفسه ٢٩٧/١.

الفصل الرابع

قائمة اجمالية

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد	المنتسبون: ابن يونس	الكندي	ابن عبد الحكم
تجيب(*)	خ م	١٨	٦٢	٣٩	١٠
سوم بن عدي(١)			٥	٧	٢
أيدعان بن عدي(٢)	خ		٢	٧	
عامر بن عدي(٣)	خ		١		٣
أيدعان بن عدي(٤)				٧	
فهم بن عدي(٥)	خ م	٦	١١		
الفردم بن أبدي(٦)					

(*) ذكر من بطون سوم، خلاوة، عباد، أيدعان، وذكر ابن ماكولا(١/ ٢٥)وابن حجر (الإصابة/ ٣/ ٣١٠) بطون تجيب: عدي، وإيدعان، بن سعد، قتيره بن حارثة أولاد تجيب، وذكر ابن حزم بطون تجيب، عدي، وسعد، (جمهرة النسب ٤٢٩، ٤٧٧).

(١) ـ ٢/ ٥١٨، ٦/ ٢٨٠، الأنساب للسمعاني ٢/ ٨٣، تهذيب الكمال ١/ ٥٢٠.

(٢) ١/ ٥٢، ٣/ ٣٣٩، ٧/ ٣٦٥، الإصابة ٣/ ٦٣٧، الولاة للكندي ٩٣، ١٩.

(٣) ٣/ ٣٤٩، ٤/ ٣٥٨، ٧/ ٣٦٤، ٢/ ٥٢٥.

(٤) ٢/ ٣٣٤، ٤٤، ٤/ ٢٩٢، ٧/ ٢٣٠، الأنساب ١/ ٨٩، الولاة للكندي ٨٥.

(٥) ٤/ ٢٨٥، ٧/ ٣٥، الولاة للكندي ٢٨٠، ٥١

(٦) ٦/ ٢٨٠.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد	المتسبون		
			ابن يونس	الكندي	ابن عبد الحكم
سعد بن معاوية[1]	خ				
خلاوة بن سعد[2]	خ م		٤		
نصر بن معاوية[3]				٤	
زميل[4]				٤	
أعجم[5]	خ		٣		
عضاة[6]			٣		
القرنا[7]			٤		
عباده[8]	خ م		٥		
قتيره[9]			٢		

(١) ١/٢٩٧، ٣/٢٠٣، ٧/٢٩٢، الأنساب ٢/٣٠٩، تهذيب الكمال ١/٢٩٧.

(٢) ١/٢٨٨، ٣٠٢، ٢/٥٧٦، ٤/٣٠٢، ٤/٣٢١، ٥/٤٣.

(٣) الإصابة ١/٤٣.

(٤) ٢/١٠٦، ٤٧٩، ٢١٦، ٣/١٦٥، ٥/٥٠، ٦/٣١٩، الانساب ٣/١٦٥، ٦/٣١٩، الكندي ١٥.

(٥) ٥/١٦٢، ٨٥٤، ٣٠/٣١٢ ن ٦/٢٦٥.

(٦) ٣/٣١٢، ٦/٢٦٥.

(٧) ٢/٩٨، الانساب ٣/٣٦١.

(٨) ٢/٥٤٢، الأنساب ٤/٢٥.

(٩) ٤/٩٧، ٥/١٩٤، الأنساب، ٤/٥٢، الإصابة ٣/٢٥٩، الكندي ٣٢٤.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المنتسبون		
			ابن يونس	الكندي	ابن عبد الحكم
الصدف(*)(۱)	خ م		۳۹	٥	۸
العريف(۲)			۲		
الابوذ(۳)					
الاجذوم(٤)					
صريم(٥)					

(*) يذكر الحازمي بطنين للصدف هما الأبوذ والاجذوم، ويذكر ابن حزم أن الصدف في حضرموت، جمهرة الأنساب (٤٦، ٤٧٩) ويذكر الغساني أن من كنده السكون، والصدف وتجيب (طرفة الأصحاب ١١، ٣٤).

(۱) ١٢٨/٦، ١٦٤، الأنساب ٣٠٣/١.

(۲) ١٢٨/٦، ١٧٤، الأنساب ٣٣/١.

(۳) ٧٠/١، ٨١، الأنساب ١٠٣/١.

(٤) ٣١/١، ٣٧، ١٠٢/٢، ٣٧١/١، ٣٧٩/٤.

(٥) الإصابة ٢٣٦/١..

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المنتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
المعافر	خ م	٥٥	٤	١١	١٧
ناشرة[١]			٣		
حاشد[٢]			١		
كعب[٣]			١		
خليفه[٤]					
جنت[٥]	خ م		٢٢	٢	
الأخمور[٦]			١		١
سريع[٧]			٣		
الأقهوب[٨]			٣		
الجند[٩]			٣		
حيل[١٠]					
كتفه[١١]			١		
مرهبة[١٢]					

---

(١) ٢/ ٣٧، ٣/ ٣٧٤.

(٢) ٧/ ١٣٥، ٩١.

(٣) ٧/ ٣٨٣.

(٤) ٢/ ٢٠، ١/ ٩٦، ٤/ ٢٩٦.

(٥) ٤/ ٢٩٦.

(٦) ٣/ ٧٥، ٤/ ٢٢، الأنساب ١/ ٩٦، ٣٩٤، ٣/ ٧٥، ٤/ ٢٢.

(٧) ٧/ ٣٢٨، الأنساب ٥/ ٢٤٩.

(٨) ٤/ ٣٥٩.

(٩) ٤/ ٩٦.

(١٠) ٣/ ٢٣٠.

(١١) ٢/ ٣٥.

(١٢) ابن عبد الحكم ٢/ ٢٢٠، ٣/ ٣٩٦.

القبيلة وبطونها	خطة خ مربع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
رعين(*)	ح م		٣٥	١	٩
يافع(١)	خ		٤		٢
أيدعان(٢)	خ				
ذبحان(٣)					
القبض(٤)					
ردمان(٥)					
قتبان(٦)			٢٥	٦	٣
عتك(٧)					
جيشان(٨)			٩	٩	
حجر(٩)	خ م		٤	٣	٢
يحصب(١٠)					

(*) ذكر الحازمي عشائر رعين، يافع، قتبان، ردمان، حجر، جيشان، عتك، ذبحان، عبل، كحلان، ميتم، وذكر الغساني رعين من هبر وبطونها يافع وفائش والتراحم والكلاع وأكها (طرفه الأصحاب: ١٢).

(١) ١٣٩/٧، ٧٨/٢، ٢٠٠٧، الإصابة ٣٣١/٣، الأنساب ٢٢٦/٤.

(٢) ٢٣٤/٤.

(٣) ٢٣٤/٢، ٢٩٤، ٥١٦/٢، ٤٧٧/٣، ٢٣٤/٤، ٢٣٤.

(٤) ٢٨٢/٤، ٤١/٦.

(٥) ١٣٤/٣/٤٩٣، ٩/٧.

(٦) ١٤٢/١، الأنساب ٥٣/٤، الاصابه ٢٥٩/١.

(٧) ٨٥/٤ (دعك) ٣١٦/٥، الاصابه ٣١٦/٢.

(٨) ١٧٤/١، ٩٢/٢، ١٩٣/١، ١٩٧/٢، ١٦٣، ٦٤/٤، الأنساب ٢٦٥/١، ٣٥٢، ٢٦/٣ ٦٧.

(٩) ابن عبد الحكم، فتوح ص ١٢٠.

(١٠) ٢٤١/١.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
خلاوه[(١)]					
وعلان[(٢)]					
وقصة[(٣)]					
مراد[(*)]	خ م		٣٠	١٨	١٣
زوف[(٤)]	خ		٢		
حمل[(٥)]			٨		
قطيعة[(٦)]			٢		
رضا[(٧)]			٥		
كعب[(٨)]			٣		

---

(١) ٧/١٩٦.
(٢) الأنساب.
(٣) ٤/٢٨٢،
(*) ذكر الغساني أن مراد بن مذجع ومن بطونها غطيف وسليمان، وخرف، وجمل وزاهور، داعم، ويام، صعب (طرفه الأصحاب ٩، وانظر ١٥، ٣٦، وذكر ابن حزم بن مذحج وبطونها قرن وجمل العريض (الجمهرة، ٤٧٦).
(٤) ٢/٣٣٨، ٧/٦، ٤/٢١٦، ٦/٣، ٢/٩٢، ٧/٤٦، ٣٤٥، السمعاني، ٣/١٧٧، ابن عبد الحكم عيسى بن زوف: ١٢٦.
(٥) ٢/٢٢٠، ١٢١، ١، ٢، ٣٢٥، ٤/٧٥، والحارث أخوه، الإصابة /١٢٨، ٥٠٠.
(٦) ٦/١٤٠، ٢/٢٥، الإصابة ٢/١٤٧، ٥٠٠، ٣/٥٠/٥٣٠.
(٧) ٦/٤٧، ٥/٧٤، الأنساب ٥/١٤٩، الإصابة ٢/٥٠٠.
(٨) ٢/٣٤٥، ٧/٣٣٧، الأنساب ٢/٧٩.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
غطيف[١]	خ		١٧		
سلهم[٢]	خ		٤		
جندب[٣]			٢		
وعلان[٤]			١		
وبيه[٥]					

---

(١) ٢/ ٥٠، ١/ ٩١، ٧/ ١١٥١، وغطيف بن عبد الله ناجيه ١/ ٩١، الإصابة ٣/ ٥٣٠.
(٢) ٥/ ١١٠، الأنساب، ٣/ ٢٨٣.
(٣) ١/ ١٢٦، ٣٢٥.
(٤) الأنساب ٥/ ٦١٠.
(٥) ٣/ ٤٠٣.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المنتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
خولان(*)	خ م	٢٣	٣٤	١٢	٢٠
جداد(١)			١		
شمير(٢)			١		
حدس(٣)			١		
حضض(٤)			١		
عبد الله(٥)			١		
معافر(٦)			١		
بتر(٧)			٤		
يعلى(٨)			٢		
عبد حمل			٢	٢	
خلاوه					
صداء					

(*) الحازمي يذكر من عشائرهم «جدد» فقط، وذكر ابن حزم أن خولان وقعت في مصر فحملت أنسابهم (الجمهرة ٤١٨).

(١) ٧/٢٢٧، الإصابة ٣/٨٢.

(٢) ٤/٣٧٤، ١/٦٠، ٢/٢٦٧.

(٣) ٢/٢٤٣.

(٤) ٤/١٧٠.

(٥) ٢/١٧٦، ٤/٣٣٦، الأنساب ٤/١٣٢.

(٦) ٧/٤١٧.

(٧) ١/٥٨٠، ١/٥٨.

(٨) ١/١٣٩، ٥٨٠، ٢/٤٣، ١/٢٥٣، ٧/٢٥٠.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
الكلاع(*)	خ	٩	٥	٤١	٣
الخبائر(١)			١	١	
زياد(٢)	خ		٨	١	١
ميتم(٣)	خ		٢	١٣	
نعيم(٤)	خ		١	١	
نحلان(٥)	خ		١	١٣	
السلف(٦)			٦	١	
السحول(٧)				١	

(*) يذكر ابن حزم أن حِمْيَر الشام منها رعين وبطونها وصاب، جيلان، غائق الجعد، يحصب، احاطه، الخبائر، السحول (الجمهره ٤٣٢)، ويذكر الغساني بطون السحول، الخبائر، ريمان، غزوان، بغدان، الأشروع، رمجه، ميتم، بذيع (طرفه الاصحاب ٥٤٢) ويذكر الكندي أن القوة التي أنفذها عمر بن الخطاب ثلثهم من غامق، ٣٥٠.

(١) ٧/١٠٨، ٨، ٣/١٩١، الأنساب ٥/٣٦، الخباز بن سود بن عمرو بن الكلاع ٣/٢٩١.

(٢) ٢/١١٤، ٢٠، ١٤(زياد بن كعيب بن حجر بن الاسود بن كلاع) ٢١٠٢ ـ ١٢.

(٣) ٣/٢٣١، ٣٥٤، الأنساب ٥.

(٤) ٧/٧٨.

(٥) الأنساب ٣/٩١، ٥/٢٧٠.

(٦) ٤/٢٦٦، ٧٤، الأنساب ٣/٣١١.

(٧) ٣/١٧٤، الكندي ٦٨٧ (السحول بن أصبح).

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المنتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
غافق	خ م	٢١	٣	٥	٣
أحدب					
دهن					
الحرقه					
القيافه					
الجدان[١]					

(١) ٣/ ١٩٥، ٤٠٠، الأنساب ٥/ ٧٤، ٣٢٨. ٦/ ١١٢، الأنساب ٢/ ١٣٤، ١٢٠. ٧/ ١٣٥، ١٧٨، الأنساب ٦/ ٥٧٢.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
همدان	خ	١٨	٨	٦	٦
حيدان[١]	خ م		١١	١٠	٩
حظور					
يحصب[٢]					
تراخم[٣]					
ناعم	خ	١٣	١١	١٠	٩
وادعه	خ				
الافروع[٤]					

---

(١) ٢/ ٤١٧، ٣/ ١٧٧.
(٢) ٧/ ١٢، ٢١٩، ٣/ ١١٧.
(٣) ١/ ٤٢٧، الأنساب ٣/ ٢٦.
(٤) الإكمال ١/ ١٠٤.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
الأزد					
بحر[1]	خ		٨	٦	
الحجر[2]	خ		٥		٢
دوس[3]					
زهران[4]				٤	
سلامان[5]					
دهنه[6]					
شبابه[7]					
خثعم[8]					
غنث[9]					

(١) ابن عبد الحكم ١١٦ «من الأزد في لخم».
(٢) ٣/٨٦، ١٢٣، ٧/٥، الإصابة ٣/٦٣٧، ابن عبد الحكم ١١٦.
(٣) الإصابة ٤٠/٥٣.
(٤) ٢/١٥١.
(٥) ٢/٢٤٨.
(٦) ابن عبد الحكم ١٢١، ١٨٤،
(٧) المصدر نفسه ١١٦.
(٨) المصدر نفسه ١١٩.
(٩) المصدر نفسه ١٢٠ شارك منهم في الفتح سبعمائة رجل. المصدر نفسه ١٨٤.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
لخم	خ م	٩	٢٥	٤	٩
راشدة[١]	خ م		١		
حدس[٢]	خ		١		
درة[٣]				١	
خشينة[٤]	خ ٤				
وصاف	خ				
أجذوم[٥]					
وصاف[٦]					

---

(١) ٢/٨٥، ٤/٥٩، ٥/٤٥.
(٢) ١/٦٣، ٢/٤٨، ٨٩، الأنساب ٤/٩٢.
(٣) ٢/٤٨٠.
(٤) ٢/١٠٥، ٤٧٢، ٥/٤١٨، ٤٧٥.
(٥) ٢/١٠٥ «من خشينة»، ٤٧٢/٢١٨.
(٦) ٥/٢١٨.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المنتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
عمم[(١)]					
يشكر[(٢)]					
بحر[(٣)]					
جذام	خ م		٦	٥	٦
جروى[(٣)]					
وائل[(٤)]	ح م				
نظر[(٥)]					
مطعم[(٦)]					

---

(١) ١/٣٢٥، ٢/١٩٥.
(٢) ابن عبد الحكم ١١٨.
(٣) «بحر من الأزد في لخم»، ابن عبد الحكم ١٦.
(٤) ٢/٢٧٢، ٥٣.
(٥) ١/٣٣٠.
(٦) ٥/٢٧١.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتسبون		
			ابن يونس	ابن عبد الحكم	الكندي
حضرموت	خ م	٩	٣٧	٢٢	٣٦
البس[(١)]					
العتاب[(٢)]					
سبأ	خ م م		١٨	٤	٥
السلف[(٣)]					
مهره[(٤)]	خ م	١٨	٤	٣	٣
سيبان[(٥)]					
شعب	خ م				

(١) ٧/ ٣٦٤.
(٢) ٤/ ٢١٣، ٧/ ٧٨.
(٣) ابن عبد الحكم ص ١٢٦.
(٤) كان منهم في إمارة عبد الله بن سعد ستمائة رجل «ابن عبد الحكم ١٨٤» وكانت كندة ثم أخرجت منها «كندة ٧١».
(٥) ابن عبد الحكم ١٢١.

القبيلة وبطونها	خطة خ مرتبع م ابن عبد الحكم	عدد المساجد ابن ظهيرة	المتسبون		
			ابن يونس	الكندي	ابن عبد الحكم
حِمْيَر	خ م		١٩	٦	٥
الحجر	خ				
كنده				١٨	
عنق[1]					
الأشعر[2]	خ		٩		

(١) ٤/١١٠.

(٢) ابن عبد الحكم ١٢٦؟

عشائر حجازية ذكر ابن عبد الحكم لها أو لرجالها خططاً، وذكر ابن يونس والكندي عدداً من رجالها، وأغلبهم من أهل الراية.

خ = خطّة ذكرها أبو عبد الحكم م = مرتبع

قريش خ	محارب	الحمراوات
فهر	عدوان (فهم) خ م	الفارسيون
سهم خ	عبس	بنه
تيم	جديلة	الأزرق
جمح خ	فزارة	روبيل

عدي بن كعب خ	القارة	العتقاء
الأنصار خ	فهم	اللفيف
كنانه خ	هلال	أزد
خزاعه خ	قيس	غسان
ثقيف خ		تنوخ
أشجع	مسكين	شجاع
غفار خ م	غسان	
أسلم خ	جريش	
هذيل خ	خشين	
جهينة خ	حكم	
قريش خ	محارب	الحمراوات
سليم	ضبّة	
مزينة	لقيط	
ضمرة	بهراء	
ليث خ م		
عامر بن صعصة		
مدلج خ		
عذرة		

الفصل الخامس

عدد المقاتلة وتطوره

تتفق الروايات أن عمر بن الخطاب عندما قدم الجابية بعد الانتصارات الأولى التي أمنت للعرب السيطرة على جنوبي بلاد الشام، أنفذ حملة بقيادة عمرو بن العاص لفتح مصر، وأن عددها عندما أنفذها لم يكن كبيراً، فأردفها عمر بقوة أكبر شاركت في حصار قوات الروم في حصن بابليون وأجبرتهم على الاستسلام[١]. وكان عمرو بن العاص قد أظهر في زمن الرسول (ص) دبلوماسية عندما أوفده إلى عمان، كما أظهر قدرة عسكرية عندما قاد قوّة توجهت إلى فلسطين وكانت في طريقها منازل عشائر بلي ولخم وجذام[٢].

وفي رواية للبلاذري أن عمرو بن العاص هاجم قيساريه «ثم استخلف عليها ابنه حين ولي يزيد بن أبي سفيان، ومضى إلى مصر من تلقاء نفسه في ثلاثة آلاف وخمسمائة، ويذكر رواية أخرى أنه خرج من قيسارية بأمر من عمر بن الخطاب[٣].

وروى ابن عبد الحكم «أن عمر بن الخطاب عقد لعمرو بن العاص على أربعة الآف كلهم من عك»[٤] وذكر في رواية أخرى أن عمرو بن العاص، قدم

(١) انظر تفاصيل وافية في كتاب 'فتح العرب مصر«لألفرد بتلر»، و«عمرو بن العاص»، لمحمد ابراهيم حسن.

(٢) معجم البلدان: ٣/ ٨٨٣.

(٣) فتوح البلدان: ٢١١.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٥٦، معجم البلدان: ٣/ ٨٩٣.

مصر بثلاثة الآف وخمسمائة ثلثهم غافق[1]. وأرقام الروايات متقاربة في عدد الخارجين، غير أنها تختلف في هويّة المشاركين، ففي الرواية الأولى أن جيش عمرو بن العاص كان من عشيرة واحدة هي عك، التي لم يرد ذكر لدورها في فتوح الشام الأولى، أو في عشائر الفسطاط، مما يدل على أنها رواية غير دقيقة.

ويذكر ابن عبد الحكم أنّ «راشدة وقبائل من لخم أول من خرج مع عمرو بن العاص»[2]. ويروي ابن حجر أن «قيس بن عدي اللخمي كان في طليعة عمرو بن العاص»[3] وأن «يزيد بن لقيط بن عدي صاحب كمين عمرو بن العاص»[4]؛ ويدل هذان النصان على ان لخماً اشتركت مبكراً في فتوح مصر، وأن عددهم كان كبيراً، وكانوا عماد قوة عمرو بن العاص، وهذا أمر راجح، لأنّ لخماً كانت تقيم في أطراف فلسطين، وقد ذكر ابن يونس ممن استوطن الفسطاط من لخم عشرين، ومن بطونهم ثلاثة عشر، وذكر أسماء خمسة ممن شارك منهم في الفتوح.

يروي ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب أمدّ عمرو بن العاص بالمزيد في اثنى عشر ألفاً[5]؛ ويقول الكندي: «كان الذين جرت سهامهم في الحصن من المسملين اثني عشر ألفاً وثلاثمائة بعد أن اصيب منهم عدد في الحصار بالقتل والموت»[6].

ويروي البلاذري أنه عندما كان عمرو بن العاص يحاصر الفسطاط أمدّه عمر بالزبير بن العوّام في عشرة آلاف ويقال في اثني عشر ألفاً، ويذكر يزيد بن حبيب أن مدد عبد الله كان اثني عشر ألفاً[7].

(١) ابن عبد الحكم: ٥٦، الكندي: ١/ ٥، فتوح البلدان: ٢١٣.
(٢) المصدر نفسه ١٢٠.
(٣) الإصابة: ٣/ ٢٦١.
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٣٩٢.
(٥) ابن عبد الحكم: ٧١.
(٦) الكندي: ٨.
(٧) فتوح البلدان: ٢١٢.

لم تذكر المصادر عشائر الأثني عشر ألفا الذين جاءوا مع عمرو بن العاص؛ والراجح أنهم، أو معظمهم، كانوا من عشائر الحجاز، وقد ذكر ابن يونس أسماء عدد ممن استوطن الفسطاط، وكان قد شارك في فتح مصر، والراجح أنهم كانوا عظم جيش الزبير؛ ولعلهم كانوا قوام «أهل الراية» الذين سنتحدث عنهم.

وذكر الكندي أن عدد من حاصر حصن بابليون وفتحه كان خمسة عشر ألفاً، استشهد منهم في القتال ألفان وخمسمائة، وكان الباقون اثني عشر ألفاً وخمسمائة[1]، وكأنه قصد بذلك أن عدد من اختط بالفسطاط في أول تأسيسها هو الرقم الأخير، ولا يبعد أن يضاف إلى هذا الرقم عند تأسيسها أعداد أخرى، فيكون عددهم قرابة عشرين ألفاً أو أقل قليلاً، وهذا الرقم يقرب ممّا ذكره الشعبي عن عدد مقاتلة الكوفة عند تأسيسها، وهو عشرون ألفاً[2].

الأمداد

الأمداد هي قوات تلحق بالمقاتلة الأصليين وتساندهم في القتال دون أن تندمج فيها، وعرّفها ابن منظور بأنها «العساكر التي بالمغازي في سبيل الله؛ والأمداد الإخوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين في الجهاد[3]»، وقد ورد ذكر الأمداد في ثلاثين آية من القران الكريم تتعلق بالعلم والمال والبنين والأرض، وذكر الله تعالى أنّه يمد المؤمنين في القتال بملائكة عددهم ألف (الأنفال ٩) وثلاثة الآف (آل عمران ١٢٤) وخمسة آلاف (آل عمران ١٢٥)، وذكر إبن حنبل أن امداد العرب كثروا على عهد رسول الله (ص)[4]، وروى مسلم أن أويس بن عامر، جاء مع أمداد أهل اليمن[5]، ونقل ابن منظور أنّ

(١) الولاة للكندي ٨ ـ ٩(عن ابن لهيعه).
(٢) فتوح البلدان: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٣) لسان العرب ٤/ ٤٠٤.
(٤) ابن حنبل ٦/ ١٠٧.
(٥) صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٢٥.

عوف بن مالك قال خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤته، وكان معي مدد من اليمن[1].

وكانت للأمداد مكانة في قريش، ويروى أن الرسول (ص) قال «لكل قوم مادة ومادة قريش مواليها»[2] واهتم عثمان بقريش ومواليها وكان «قد جعل لموالي قريش طعمة خمسة دنانير لكل رجل وحول، ولكنّ قريشاً قالت لنا كغيرنا، ليس لنا مدد، وإنما موالينا مددنا فأقر لهم هذه الطعمة، فكان موالي الرجل منهم، فيكتب صلبه ولدا ان كان له ولد، وان لم يكن له ولد كتب عليها من شاء، ولم يجعلها عثمان لأحد من موالى قريش[3]» وظل عطاء الموالي في الحجاز قليلاً، فيروي الواقدي أن هشام بن عبد الملك «أمر، أن يحط فرض آل صهيب بن سنان إلى فرض الموالي، ففزعوا إلى محمد بن طلحة وهو عريف بني تيم ورأسها، فقال سأجهد في ذلك ولا أترك»؛ وأمر على أن يجعل فرض صهيب كفرض قريش، فأجيب إلى ما أراد[4].

لم تكن للأمداد مكانة المقاتلة الأولين، فيروى ابن عبد الحكم أن شريح بن ميمون المهري عقد له على البحر، فلم يكن يعلم مدى ما نال من الشرف ما ناله[5]؛ وجعل عبد العزيز بن مروان على حرسه ضباب بن مرشد الرعيني، وضم إليه ثلاثمائة من الأمداد.

أحدث مجيء الأمداد تطوّراً في خطط الفسطاط، ويُروى أنه «كان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل، فلمّا مدت الأمداد في زمان عثمان بن عفان وما بعد ذلك وكثر الناس، وسّع كلّ قوم لبني أبيهم حتّى كثر البنيان والتم»[6]، ويذكر أن بعض حضرموت كانوا في موضعهم في زمان عثمان بن عفان. «ثم

(١) لسان العرب ٤/٤٠٤.
(٢) تاريخ المدينة لابن شبه ٩٩٨، ابن جنبل ٦/٤٦، ٢٣٩.
(٣) تاريخ المدينة ٩٨٩.
(٤) ابن سعد: القسم المتمم للطبقة الثالثة ٩٦.
(٥) ابن عبد الحكم ١١٨ ـ ١٩٩.
(٦) الكندي ٤٩.

قدمت مادتهم في أيام عثمان، فاختطوا شرقي سلهم والصدف حتى أصحروا فتحول إليهم من أراد التحوّل ممّن كان بتجيب، واختطّ بمكانهم عبد الله بن كليب من الأشياء خطته في أيدعان»[١].

لم تحدد المصادر بدقة زمن قدوم هذه الأمداد، والراجح أنها جاءت متتابعة، أفراداً وجماعات تدفعها دوافع متعددة، منها روح الفروسية والرغبة في المشاركة في الفتوح وتوسيع الدولة وتوطيد دعائمها، ومنها أحوال داخلية في اليمن دفعت بعضهم إلى الهجرة منها، واختار بعضهم التوجه إلى مصر، وفي هذا يذكر الهمداني أن «أكثر بني حي اليوم في صعيد مصر، وهم بعد ذلك أقل خولان باليمن، وكان سبب خروجهم من اليمن أن رجلاً من بني سعد بن سعد بن خولان خطب إليهم بعض كرائمهم، فأكبروا نفوسهم عليه فدافعوه، فلما ألحّ عليهم حصبوه، فغضب في ذلك بنو سعد بن سعد بن خولان وحاربوهم مدة حتى أخرجوهم من صعدة فلحقوا بمصر»[٢]، ويقول أيضاً «ثم تولّى عمرو بن زيد بعد إجلاء قوم من بني ربيعة بن نزار من تهامة فأخرج من بني خولان إلى مصر، فركبوا البحر فغرق بعضهم فسمى مُغْرَقاً»[٣].

ويذكر أيضاً أن ولد رشوان بن خولان: لاحق ومخلف وخلية وسعد، ومنبه، وعرب، وخلي، وان أكثر هذه البطون بمصر خرجوا مع بني حي بن خولان مفارقين لبني سعد بن خولان، وذلك أن مالك بن عمرو سيّدهم لما هاجت الحرب بين بني حي وبني سعد اعتزل، ووقعت الدبرة على بني حي قال لا سكنت بلد خولان بعد خالد بن قيس، وكانت ابنة خالد تحته»[٤].

لم يذكر الهمداني زمن هجرة هذين الحيين، ولعل هذه الأمداد من الأمداد التي تتابعت أمداً غير قصير.

---

(١) ابن عبد الحكم ١٢٣. ولا بد أن هجرات أخرى لمددين سبّبت تبدل بعض الخطط ولم يشر إليها ابن عبد الحكم.

(٢) الإكليل للهمداني ١/٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه ١/٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه ١/٣٢٤.

عدد المقاتلة

لم تذكر المصادر تطور عدد مقاتلة مصر وما حدث من تبدلات على تنظيمها إلى زمن خلافة معاوية، إذ يذكر ابن لهيعة «أن الديوان كان في زمان معاوية أربعين ألفاً، وكان منهم أربعة آلاف في مائتين (أي مئتي دينار في السنة)، فاعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم وذراريهم، ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح في الحجاز، ثم بعث إلى معاوية بستمائة دينار(١).

يُظهر هذا النص أن أربعة الآف أي عشر العدد الكلي من المقاتلة، كانوا في مائتين من العطاء المقدر في مصر بالدينار، وهو يوازي ما يأخذه من كان في «شرف العطاء» في العراق، أي أن أسس تنظيم العطاء في مصر تشبه أسسه في العراق، ولعل بقية المقاتلين في مصر كانوا في أصنافهم نفسها في العراق، ويذكر النص أن العيال كانت تأخذ عطاءً لم يذكر مقداره، وأنّ أهل العطاء وعيالهم وذراريهم كانوا يأخذون الرزق من المواد العينية، اي الحنطة.

وروى ابن عبد الحكم عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابن هبيرة تنظيم البعوث فقال «إن المسلمين لما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية وربع الناس، أو ربع في الساحل، والنصف مقيمون معه، وكان يصير بالإسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة اشهر، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه، واتخذوا فيه أخائذ». وتابع روايته فقال: «إن المسلمين لما سكنوها (الاسكندرية) في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابتدروا، فكان الرجل يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه، فلما كان عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله، فمن ركز منكم رمحه في دار فهي له ولبني أبيه، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل منها، ثم

---

(١) ابن عبد الحكم ١٠٢، إن هذا العدد يقرب من عدد المقاتلة كل من أهل الكوفة والبصرة وخراسان في زمان معاوية. انظر كتابنا «امتداد العرب في صدر الإسلام».

يأتي الآخر فيركز رمحه في بيوت الدار، فتكون الدار لقبيلتين أو ثلاثة، وكانوا يسكنونها حتى إذا قفلوا سكنتها الروم وعليهم مَرَمَّتُها، فكان يزيد بن أبي حبيب يقول لا يحل من كرائها شيء ولا بيعها، ولا يورث منها شيء، إنما كانت لهم يسكنونها في رباطهم»[١].

وكانت المرابطة تقيم في المواحيز ومنها ماحوز رشيد[٢]، ومن مواحيز رشيد البرلس[٣].

كنا قد ذكرنا آنفاً أن عدد مقاتلة الفسطاط في زمن خلافة معاوية كان أربعين الفاً منهم أربعة آلاف في شرف العطاء[٤]، وهذا الرقم يقرب من عدد مقاتلة الكوفة والبصرة في زمن خلافة علي، ويقرب من عدد من نقل إلى خراسان، وهو خمسون ألفاً[٥]، ولابد أن هذا الرقم يشمل المقاتلة الذين يرسلون مؤقتاً إلى مناطق من مصر، ذكر منهم «الإسكندرية ربع الناس، وربع في السواحل والباقون مقيمون معهم (في الفسطاط) وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه[٦].

ووضع عتبة بن أبي سفيان في زمن خلافة معاوية «علقمة بن يزيد القطيعي على الإسكندرية في اثني عشر ألفاً من أهل الديوان يكونون فيها رابطة»[٧]، وهذا يؤيد أن مقاتلة الفسطاط كانوا نيفاً وأربعين ألفاً.

كان عدد المصريين المشاركين في الثورة على عثمان ستمائة، وعدد من اعتزل القتال بين علي ومعاوية عشرة آلاف، رئيسهم معاوية بن حديج، وكان قيس بن سعد والي مصر «يجري عليهم عطاءهم وأرزاقهم» فلما ولي محمد بن

---

(١) ابن عبد الحكم ١٣٠ ـ ٢.
(٢) الأنساب ٦/١٢٩ (طبعة بيروت).
(٣) الأنساب ٥/١١٤.
(٤) ابن عبد الحكم: ١١٢، المقريزي: ١/٩٥.
(٥) انظر دراستنا «امتداد العرب في صدر الإسلام».
(٦) ابن عبد الحكم ١٣٠.
(٧) الولاة للكندي ٣٦، ابن عبد الحكم ١٩، وهو يضيف أن معاوية أمده إضافة اليهم بعشرة آلاف من أهل الشام، وخمسة آلاف من أهل المدينة.

أبي بكر مصر بعد قيس أراد إخضاعهم بالقوة، وقاتلهم، ولكنهم تغلبوا عليه وقتلوه[1].

ولما دخل مروان بن الحكم وقتل الأكدر بن حُمَام وهو سيد لخم وشيخها، ثار لمقتله «ثلاثون ألفاً» ثم هدأهم كريب بن أبرهة[2]، وقتل مروان مع الأكيدر ثمانين رجلاً من غافق[3].

وكان بعث البحر في زمن ولاية عبد العزيز بن مروان ثلاثة آلاف رجل[4].

وفرض عمر بن عبد العزيز لأهل مصر خمسة آلاف[5]، ولكن يزيد بن عبد الملك الذي تلا عمر في الخلافة ألغاها[6].

ولما ولي يزيد بن الوليد أمر واليه على مصر حفص بن الوليد باللحاق في جنده، وأمر بفرض ثلاثين ألفاً، ففرضها، وفرض الفروض وخرج ببيعة أهل مصر في يزيد، وجعل حفص بن الوليد في فرضه قواداً، وسماهم أصحاب الندبة، ففرض حفص لفروضه في عشرين[7] وخمسة وعشرين، وضم الذين يقال لهم الحفصية من المقامصة والموالي، ثم ولي مصر حسان بن النعمان فألغى الفرض[8].

وفرض حوثرة والي مروان بن محمد على مصر لشيعة مروان، ومن كان يكاتبه فروضاً من الخاصة، ففرض لربان بن عبد العزيز شرف من موالي بني أمية ألفاً، وفي قيس ألفاً، وفرض لزبير بن أبي أمية المعافري ثلاثة آلاف[9]،

(١) الولاة الكندي ٢١.
(٢) المصدر نفسه ٤٥.
(٣) المصدر نفسه ٤٧.
(٤) المصدر نفسه٥١.
(٥) المصدر نفسه ٦٨.
(٦) المصدر نفسه ٧.
(٧) المصدر نفسه ٨٤، خطط المقريزي ١/٣٠٣، النجوم الزاهرة ١/٣٢٤.
(٨) المصدر نفسه ٩٤.
(٩) المصدر نفسه٩٠.

ولم تروِ المصادر ما إذا كان قد نفّذ في هذا الشأن قواعد عامة متبعة، أم هي حالات خاصة.

وفي السياق عينه نذكر ان القوة التي أنفذت للقضاء على ثورة القبط سنة ١٣٢هـ كان قوامها سبعة آلاف، هم ـ في أغلب الظنّ ـ من أهل الديوان[١].

وفي سنة ١٣٦هـ ألحق صالح بن علي في أهل مصر ألفين من المقاتلة، وزاد أهل مصر عشرة (دنانير) في أعطياتهم؛ ولعل هذه الزيادة كانت ثابتة غير مؤقتة[٢].

وفي سنة ١٦٨هـ عقد موسى بن مصعب الخثعمي في خمسة آلاف من أهل الديوان للقضاء على ثورة العرب في الحوف، وكان أهل الفسطاط يتعاطفون معهم، وعقدت قيس واليمانية حلفاً بينهم، وولوا عليهم معاوية بن مالك بن ضمضم الجذامي الجروي، فمضى موسى بن مصعب في جند مصر كلّهم، وفيهم وجوه الناس، فلمّا نشب القتال لم يثبت أحد من أهل مصر مع موسى فقتل[٣]، وعاد أهل مصر إلى الفسطاط، فأرسل المهدي على مصر الفضل بن صالح بن علي مع عسكر وجند عظيم، أتى بهم من الشام، ومن قنسرين، وحمص، ودمشق، والأردن، وفلسطين، وكان الفضل قد قدّم العرب على الموالي والبربر، وهم شراة[٤]، ثم ولّى الرشيد مسلمة بن يحيى البجلي سنة ١٧٢هـ فقدمها في عشرة آلاف من الجند، وثار القديرية، ولم يهدأوا إلا بعد أن دُفعت لهم أعطياتهم[٥].

وجدّد أهل الحوف ثورتهم سنة ١٧٧هـ، فأرسل الرشيد هرثمة بن أعين في جيش عظيم، فقطع أهل الحوف ثورتهم[٦]، ثم أعادوها سنة ١٨٦هـ، ولم يكن

---

(١) الولاة للكندي ٩٤.
(٢) المصدر نفسه ١٠٣.
(٣) المصدر نفسه ١٢٥ ـ ٢٦.
(٤) المصدر نفسه ١٢٩ ـ ١٣١، وتجدر الإشارة إلى أن الكندي ذكر وجود أهل الشام في الفسطاط في زمن خلافة الوليد بن يزيد: الولاة ٨٣.
(٥) المصدر نفسه ١٣٣.
(٦) المصدر نفسه ١٣٦.

مقاتلة الفسطاط معتمدين في القتال، فلما ولي الحسن بن التختاخ سنة ١٩٣هـ، «أعطاهم العطاء كاملاً: ثلثاً عيناً وثلثاً براً، وثلثاً قمحاً، فلم يرضوا ووقعت فتنة قتل فيها ناس من الجند، ومن أهل المصر، ولم تخمد إلا بإعطائهم عطاءً كاملاً من المال[١].

ثم ولي حاتم بن هرثمة سنة ١٩٥هـ ففرض لألف من الأبناء قدم بهم مصر، فأوقف أهل الحوف ثورتهم[٢].

وأيد أهل الفسطاط المأمون في خلافه مع الأمين، فأيّد أهل الحوف الأمين[٣] وتتابعت الاضطرابات، وأبرز من أثارها أهل الحوف والجرويون؛ ثم هدأت موقّتاً بتولي طاهر بن الحسين ومعه جند من الخراسانية، وتلاه المعتصم الذي سار سنة ٢١٤هـ إلى مصر في أربعة آلاف من الأتراك فأخضع الحوف.

يتبيّن من أخبار الاضطرابات التي شهدتها مصر في هذه الحقبة أن مقاتلة الفسطاط لم يكن لهم دور فاعل، وأن أكثر الثورات قام بها أهل الحوف من القيسيين والجرويين من لخم، وإن كان أكثر هذه الاضطرابات قد قضى عليها الولاة بمن معهم من الجند الذين جاءوا معهم من العراق، فلمّا ولي المعتصم الخلافة امر باسقاط من في الديوان من العرب وقطع أعطياتهم[٤]، فثار يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لخم وجذام، ولم يستجب له إلاّ نحو من خمسمائة رجل، فقضى على حركتهم دون صعوبة[٥] وهدأت بعد ذلك الأحوال في مصر.

نقل قيس إلى مصر

ذكر الكندي «وفي ولاية الوليد (بن رفاعة الفهري) نقلت قيس إلى مصر في

---

(١) الولاة للكندي ١٤٦.
(٢) المصدر نفسه ١٤٧.
(٣) المصدر نفسه ١٤٩.
(٤) المصدر نفسه ١٩٣.
(٥) المصدر نفسه ١٩٤.

سنة ١٠٩هـ ولم يكن لها أحد منهم قبل ذلك إلاّ من كان من فهم وعدوان، فوفد ابن الحبحاب (والي مصر) على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل منهم أبياتاً، فأذن له هشام في إلحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر على ألاّ ينزلهم الفسطاط، ففرض لهم ابن الحبحاب، وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقي وفرّقهم فيه». ونقل الكندي بسند عن الهيثم بن عدي كتاب ابن الحبحاب إلى هشام، وروى الأزدي هذا الكتاب، كذلك، فقال إن عبيد الله بن الحبحاب «لمّا ولّاه هشام قال: ما أرى لقيس فيها حظّاً إلا لناس من جديلة، وهم فهم وعدوان، فكتب إلى هشام: إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرّف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم، وإني قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظّاً إلا أبياتاً من فهم[1]، وفيها كور ليس فيها أحد، وليس يضرّ بأهلها نزولهم معهم، ولا يكسر ذلك خراجاً، وهي بلبيس، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل، فكتب إليه هشام انت وذاك، فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر، ومائة أهل بيت من بني عامر، ومائة أهل بيت من هوازن، ومائة أهل بيت من بني سليم، فأنزلهم ببلبيس وأمرهم بالزرع، ونظر إلى الصدقة والعشور فصرفها إليهم، فاشتروا إبلاً، فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم، وكان الرجل يصيب في الشهر عشرة الدنانير وأكثر وأقل، ثم أمرهم باشتراء الخيول، فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث إلا شهراً حتّى يركب، وليس عليهم مؤنة في أعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم، فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمّل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية، فكانوا على مثل ذلك، فأقاموا سنة فأتاهم نحو خمسمائة أهل بيت، فمات هشام وببلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت، حتّى إذا كان في زمن مروان بن محمد وولي الحوثره بن سهيل الباهلي مصر مالت إليه قيس، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت، ثمّ توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم[2].

قال الهيثم فحدّثني أبو عبد العزيز، قال: أحصيناهم في ولاية محمد بن

---

(١) الولاة للكندي ٧٦ ـ ٧٧، المفصل للأزدي ٣١.

(٢) الأزدي يضيف ديوانهم في أهل اليمن فكرهت أن أخرجهم، وإن قبلن كورة.

سعيد على مصر (سنة ١٤٣هـ) فوجدناهم صغيرهم وكبيرهم وكل من جمعت الدار منهم خمسة آلاف إلا مائتين أو ومائتين.

ويتضح من هذا النص أن مجيء قيس مصر لم يمسّ ديوان الفسطاط، لأنهم لم يدخلوا في الديوان، وإنما اعتمدوا في معاشهم على الزرع، ونقل التجارات التي كانت تدر لهم موارد، ولعلّ كثيراً من العشائر العربية، التي ذكرها أصحاب المصادر المعنية بذلك كاليعقوبي، والقلقشندي، جاء بمثل هذه الطريقة.

الفصل السادس

ديوان المقاتلة وتنظيمه في مصر

وضع الخليفة عمر بن الخطاب الديوان لتنظيم عطاء المقاتلة بعد أن زادت موارد الدولة واستقرّ مقدارها، ووردت تفاصيل عن الأسس التي وضعها عمر بن الخطاب، وكانت في المدينة المنورة على أساس السابقة في المشاركة في غزوات الرسول (ص) وفتوحه، فجعل أكثر العطاء لمن شارك في بدر يتلوهم من شارك في أحد ثم في الحديبية، ثم من انضمّ إلى المقاتلة بعد فتح مكة[1].

إن هذه القواعد طبّقت على المقاتلة في المدينة، فهم الذين شاركوا في غزوات الرسول (ص) وفتوحه الأولى، ومن الطبيعي أن تكون قد طبّقت على الصحابة ممن شارك في فتح مصر وغيرها، وقد ذكر ابن حجر في كتابه «الإصابة في معرفة الصحابة» عدداً منهم في مواضع متفرقة من كتابه، ولعلّ قائمته غير مستوعبة للصحابة كافة الذين شاركوا في فتح مصر، مع العلم أنّ عدداً غير قليل منهم عاد إلى المدينة، وأن عدد من استقر مقامه في مصر لم يكن كبيراً.

ويظنّ أن تنظيم ديوان المقاتلة العرب في مصر طبق قواعد أخرى، لأن أغلب من شاركوا في فتوح مصر كانوا ممن انضم إلى الجيوش الإسلامية بعد فتح مكة، وربما منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وكان لا بد من وضع قواعد تلائم الأوضاع الجديدة، منها تاريخ الانضمام إلى المقاتلة، والبسالة

---

(١) انظر مقالنا «العطاء في الحجاز» المنشور في مجلة المجمع العلمي ببغداد.

والأعمال البارزة في المعارك والحروب، والمكانة المتميزة، وقد أشارت المصادر إلى بعض القواعد التي اتّبعت في العراق، وأبرزها تمييز «أهل الأيام» ممّن شارك في مقاتلة الفرس قبل معركة القادسية، ويتلوهم من شارك في معركة القادسية، من انضم إلى الجيوش الإسلامية بعدها[1].

غير أن المصادر لم تشر إلى القواعد الخاصة بتنظيم ديوان المقاتلة في مصر، خلا الإشارة إلى الأمداد، وإلى العدد الكلي للمسلمين في ديوان مصر في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان. وقد ذكرنا في مكان آخر قدوم الأمداد بكثرة إلى مصر في زمن خلافة عثمان، وما أحدثه قدومهم من تحويل في الخطط والمساكن؛ وتدل هذه المعلومات على أنهم جاءوا في زمنه بأعداد كبيرة، وأن عدداً قليلاً قدم في زمن خلافة عمر؛ فيذكر ابن عبد الحكم «لما قدم المدد على عمرو بن العاص، قال:

يوم لهمدان ويوم للصدف ... والمنجنيق في بليّ تختلف

ومن المؤكّد أن الأمداد تتابعت بعد خلافة عثمان؛ وما تطلب إجراء تعديلات لاحقة ذكرت المصادر بعضها إجمالاً.

يقول ابن عبد الحكم: «كان معاوية بن أبي سفيان قد جعل على كل قبيلة، من قبائل العرب رجلاً فكان على يعفر رجل يقال له الحسن، يصبح كل يوم يغدون المجالس فيقول هل ولد الليل منكم مولود، وهل نزل بكم نازل»[2]، وقد يكون هذا الذي ولاه معاوية غير العريف الذي، ذكر أنه من قبل معاوية في مصر.

كانت في الديوان سجلات ظلت قائمة يرجع إليها حتى زمن عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن يونس (ت ٣٤٧هـ) أي بعد أكثر من قرن من قطع المعتصم عطاء العرب، وقد أشار إلى معلومات استقاها من هذه السجلات، فذكر أنه

---

(١) انظر كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» ص٢٢.
(٢) ابن عبد الحكم: ١٠٢.

رأى في ديوان المعافر اسم كل من شرحبيل بن مزيد المعافري[١]، وحيويل بن شرحبيل المعافري[٢]، وقال عن أبي الفرج بن المنصور «رأيته في ديوان المعافر بمصر في بني خارف»[٣].

ورأى في ديوان همدان أن عبد الرحمن بن أوس الهمداني كان في ثلاثين من العطاء[٤].

وقال عن حفص بن رجاء بن جميل «رأيته في ديوان مراد»[٥]؛ «وعن ربيعة بن قيصر الحضرمي» كذا رأيته في نسب حضرموت[٦]، وروى عن ابن لهيعة «رأيت في ديوان حضرموت فيمن ذكروهم في أربعين من العطاء[٧]، وذكر عن محمد عبد الرحمن بن أوس الهمداني» رأيته في ديوان همدان «في ثلاثين من العطاء»[٨].

وذكر القضاعي «في الجيزة طائفة من الحبشة وديوانهم في الأزد»[٩].

وفي بعض المصادر إشارات إلى أن تنظيم الديوان كان قائماً على ترتيب العطاء الذي يقتضي أحياناً جمع بطون متباعدة بعضها مع بعضها الآخر؛ أو تفريق القبيلة الواحدة إلى بطون عديدة قد تضم قبيلة أخرى فتكون في عدادها. فذكر أحمد بن عبد الوارث بن جرير الأسواني دعوتهم في موالي عثمان بن عفان[١٠]؛ وأن «مسجد بن ماتع المسكي عداده في المعافر»[١١].

---

(١) ٢/١٧٧.
(٢) ٢/٣٦، ١٧٧.
(٣) الأنساب: ١/٣٩٤.
(٤) المصدر نفسه ٤/١٠٩.
(٥) ٢/١٢.
(٦) ١/١٢٨.
(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٨/١٨.
(٨) الأنساب: ٤/١٠٩.
(٩) الخطط للمقريزي: ٢/٣.
(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧/٤٧، الأنساب ٤/١٨٩.
(١١) ٧/٩١.

وأن «توبة بن النمر بن حرملّة» الخط ثم من البس... وهم بطن من حمير في حضرموت[1]، و«بني مكونه دعوتهم في المعافر»[2].

وذكر عن أبي سعيد بن يونس «دعوتهم في الصدف وليس هو من أنفسهم والأمر إليهم»[3]. وذكر أن الطحاوي «عداده في حجر الأزد»[4].

«تعديلات تنظيم ديوان الجند»

يذكر الكندي ان ديوان العطاء أعيد تنظيمه أربع مرات: ـ

الأول. تدوين عمرو بن العاص (٢٠ ـ ٢٥هـ).

والثاني. تدوين عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ).

والثالث. تدوين قرة بن شريك (٩٠ ـ ٩٩هـ).

والرابع. تدوين بشر بن صفوان في زمن يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ).

أما المعلومات التي وصلتنا عن التدوين الأول فيبدو أنه وضع في زمن خلافة عمر بن الخطاب، واستمر إلى زمن عمر بن عبد العزيز الذي حدث التدوين الثاني في عهده[5]؛ فقد ذكر الكندي أن الخليفة أمر أيوب بن شرحبيل واليه على مصر «بالزيادة في أعطيات الناس عامة، وألحق لأهل مصر خمسة آلاف في سنة ١٠٠هـ»[6] غير أنه يذكر أن يزيد بن عبد الملك الذي تلا عمر بن عبد العزيز في الخلافة كتب بمنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز أمرها لأهل الديوان فمنعوها[7]، أي أن الزيادة التي أمر بها عمر بن عبد العزيز لم

(١) ٧/ ٣٦٤.
(٢) الأنساب ٥/ ٩٥، جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٥.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٥٠.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٢٩.
(٥) الولاة للكندي ٧١.
(٦) المصدر نفسه ٦٨.
(٧) المصدر نفسه ٧٠.

تعط إلا سنة واحدة، ولكن المصادر لم تذكر معلومات عن الخمسة آلاف التي أطلقها عمر بن عبد العزيز لهم في هذه الزيادة.

عَدَّ الكندي تدوين قرة بن شريك هو الثالث، وأنه تم بعد تدوين عمر بن عبد العزيز، مع العلم أنّ ولاية قرة بن شريك كانت في زمن الوليد بن عبد الملك، أي قبل تولي عمر بن عبد العزيز الخلافة.

وذكر الكندي، في مكان آخر من كتابه، أن قرة دوّن الديوان سنة ٩٥هـ وهو التدوين الثالث[١]، ولم يذكر معلومات عن هذا التدوين.

كما ذكر الكندي أن يزيد بن عبد الملك الذي ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وّلى مصر بشر بن صفوان الذي لاحظ تفرّق قضاعة في القبائل، فكتب إلى يزيد بن عبد الملك يسأله الإذن في استخراج من كان من القبائل منهم، فجعلهم دعوة مفردة مع سائر قضاعة دعوة مفردة؛ وتدوين بشر بن صفوان هو التدوين الرابع. . ولم يكن بعد هذا في الديوان شيء له ذكر إلا ما كان من إلحاق قيس فيه، وأشياء أحدثها المسودة (العباسيون) من أرباعهم التي أحدثوها فيه[٢]، ويتبين من هذا ان تعديل بشر بن صفوان كان واسعاً، ولعله شمل عشائر أخرى غير من ذكرنا في النص.

وذكر الكندي، أيضاً، أنه لما بويع يزيد بن الوليد أمر حفص بن الوليد بفرض ثلاثين ألفاً فدخلها ففرض الفروض «وجعل حفص بن الوليد على فروضه قوّاداً، وسمّاهم أصحاب الندبة وفرض حفص لفروضه عشرين، وخمساً وعشرين، فهم الذين يقال لهم الحفصية من المقامصة والموالي»[٣].

ولم نجد في المصادر ذكراً لأصناف المقاتلة غير هذا النص الذي يشير إلى صنفين من أهل العطاء: صنف من يأخذ عشرين وصنف من يأخذ خمسة وعشرين (ديناراً)؛ ولعلّ هذا المبلغ هو الحد الأدنى.

---

(١) الولاة للكندي ٦٥.
(٢) المصدر نفسه: ٧٠.
(٣) المصدر نفسه: ٨٤.

إن عدم إدخال الكندي عمل ابن الحبحاب وحفص بن الوليد يدل على أنهما لم يغيرا تنظيم الديوان، وإنما أضافا إليه مجموعتين، وان كانت المجموعة الأخيرة كبيرة لدرجة تثير الشكوك في دقتها.

ولا بد أن أعداداً جاءت إلى الفسطاط، شأنها في ذلك شأن بقية الأمصار، للعمل في الصناعة والتجارة والأعمال الاخرى التي ليست لها صلة بأمور القتال، ومن الوافدين كثير من أهل مصر والأقباط الذين تقاطروا طلباً للرزق أو لأغراض أخرى غير القتال[1].

لا ريب في أن الديوان لم يسجل غير مجيء قيس واستيطانهم في بلبيس واعتمادهم، لا على الديوان، بل على الزرع والنقل اللذين كانا يدرّان عليهم موارد طيبة، كما ذكرنا، ولعل هؤلاء القيسيين هم جماعة من جماعات عربية كثيرة جاءت سلمياً وفي أوقات لم تحددها المصادر بدقة، بل أشارت منذ القرن الثالث إليها إشارات عامة، فقد ذكر اليعقوبي بعضهم. ومما قاله إن جنوبي مصر فيه، «قوم من بلي وجهينة وأخلاط من الناس يقصدون التجارة»[2]. ولعل كثيراً من أعراب مصر الذين وردت تفاصيل عن توزيعهم في مختلف البلاد المصرية، كانوا من أمثال قيس، أو ممن تسربوا من الفسطاط بعد قطع المعتصم العطاء عن أهل مقاتلتها العرب؛ كما ذكر ذلك الشريف الجواني، والقلقشندي، وابن فضل الله العمري والمقريزي.

أسباب التعديلات

لم تذكر المصادر عدد المقاتلة المدونين في الديوان في غير زمن خلافة معاوية فقد كان عددهم أربعين ألفاً، منهم أربعة آلاف في شرف العطاء.

ذكرنا قول الكندي بأن أربعة تعديلات أدخلت على الديوان إبان العصر الأموي، وأشرنا إلى أنه لم يذكر، ولا ذكر غيره من المصادر، ماهية هذه

---

(١) الولاة للكندي/٨٨.
(٢) البلدان/٣٣.

التعديلات وأسبابها، ويبدو أنها أحدثت لتكون أكثر انسجاماً مع التطوّرات السكانية والتبدّلات التي حدثت في التركيب القبلي للمقاتلة من أهل الفسطاط، ومنها تتابع الهجرات من الفسطاط وإليها مما يقتضي اعادة النظر في التنظيم القائم وتعديله ليكون أكثر انسجاماً مع متطلبات النظام والاستقرار؛ وقد أشار الكندي إلى ذلك، فقال إنه لما ولي أبو عون «عبد الملك بن يزيد»، فكان في ديوان الجند بعض الخلل، فقيل لأبي عون إن عبد الرحمن بن سالم مِنْ أعلم الناس بأمور الديوان، فعزله عن القضاء وجعل إليه الديوان، والمال»[1].

والراجح أن هذه التعديلات كانت في الهيكل العام، وليس في الجزئيات.

ومن الراجح أن هذه التعديلات أدخلت أعداداً من مهاجرة العرب الذين قدموا الفسطاط واستوطنوها، ولم يكونوا قبل ذلك مسجّلين في الديوان أو يأخذون العطاء.

الرزق

ذكر ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب عندما أنشأ الديوان أمر «أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية أن عطاءهم قائم، وأن أرزاق عيالهم سائل فلا يراعون ولا يرتاعون»[2]. وهذه الأرزاق مواد عينية كانت توزّع على المقاتلة وعيالهم في الأمصار كافة، توزّع من منتوجات الإقليم، وأشارت البرديات إلى حرص الولاة على توفيرها وتوزيعها[3]. كانت المواد العينية، وعمادها الحنطة، تجمع في مخازن «هرى». وثمة إشارات إليها وإلى من كان يتولاها في مصر، فقد ذكر سعيد بن المسيب، (فقيه المدينة المشهور) أن أحدهم في مصر كان يبيع رزقه من «هرى» قبل أن يقبضه[4]. وذكر أن عياض بن عبد الله ولي لأسامة بن زيد بن علي «هرى» (سنة ٩٩هـ)، فأتبعه ولايته على

---

(١) الولاة للكندي / ٣٥٤.

(٢) ابن عبد الحكم ١٦٢، وانظر عن زمن معاوية ٣١٦.

(٣) من أوراق البردي العربية لجروهمان.

(٤) الولاة للكندي ٣١٦.

القضاء، من قبل أمير المؤمنين سليمان، فقال أسامة لا أعزلك عن «هرى» للقضاء، أنت عليها جميعاً، كان يجري عليه رزقها[١].

ويبدو أن توزيع الرزق استمر بعد مجيء العباسيين فيذكر الكندي أنه لما ولي صالح بن على مصر سنة ١٣٣هـ «أمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال[٢]»، والراجح أنه كانت في الفسطاط دار الرزق، شأن دار الرزق في البصرة، وذكرت المصادر الخططية موقع «هرى»، ولم تذكر تنظيم توزيعه، ولعلّه كان كبقية الأمصار يوزع شهرياً[٣]، يدفع إلى أفراد الأسرة من ذلك عيال الحاميات التي تقيم مؤقّتاً في مواحيزها تاركين أسرهم في الفسطاط.

ذكر الكندي عن ابن لهيعة ان أرزاق المسلمين كانت اثني عشر إرْدَبّاً في كل سنة، فنقص إردبّين، فصار لكل رجل عشرة، فلمّا ولي حفص بن الوليد (سنة ١٢٤هـ) صيرها إلى اثني عشر «وهذا يشير إلى أن توزيع الرزق كان سنوياً»[٤].

يقدر هينز الإردبّ المصري بـ ٦٩,٦ كغم من القمح أو ٥٩ كغم من الشعير فمقدار ما يصيب الفرد حسب التقدير في النص أعلاه بـ ٦٩,٦ × ١٢ أى قرابة ٨٢٥ كغم، وهو مقدار يفوق حاجة الفرد التي تقدر بـ ١٢٠ كغم سنوياً؛ فلعل المقصود بالنص ما يصيب الأسرة، على أساس أنها مكونة من خمسة أفراد[٥].

وذكر الكندي أن هشام بن عبد الملك بعث إلى مصر «بالمدى الصغار وأمرهم ان يتعاملوا به، فطاف به على القبائل فأخبرهم أن أمير المؤمنين أمر به، فكل الناس مسلّم لذلك، حتّى أتى به إلى المعافر فعرضه عليهم، وأتى به إلى عبد الرحمن بن حيويل بن ناشرة المعافري، فضرب به الحجر فكسر، ثم

---

(١) الولاة للكندي ٣٣٣.

(٢) المصدر نفسه ١٠٠.

(٣) انظر عن توزيع الرزق في البصرة «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة»، وعن الحجاز كتابنا «الحجاز في صدر الإسلام» ٤٢٩ ـ ٤٣٢.

(٤) الولاة للكندي ٨٢.

(٥) المكاييل والمقاييس ٥٨.

قال ان لنا وبية وإردباً فقد عرفناهما ولسنا نحتاج إلى هذا[١]، فلم يعمّ استعماله، ولم تذكر المصادر الفرق بين هذا المدى، والويبة والإردبّ.

العرفاء

ذكرت المصادر عدداً من الرجال، وصفتهم بأنهم كانوا «عرفاء» أو «عرفاء على قومهم». فذكر ابن عبد الحكم «كانت راية الأجذوم مدخل عمرو بن العاص مصر مع حيان، أو حيان بن يوسف، فلما استقرت الصدف عرِّف عليهم عمران بن ربيعة، فأقام سنين، ثم عرّف ابنه، ولم يزل بالبلد قوم لهم شرف»[٢].

وروى ابن ماكولا أن «عمر بن ربيعة بن حريش بن عرفطة الصدفي كان يلي العرافة بمصر لعبد العزيز بن مروان إلى أيام أبي جعفر»[٣].

وكان «هزل بن الحرث بن الصعب بن محرم الخولاني شهد فتح مصر، وكان عريفاً على قومه لمّا دخلوا مصر»[٤].

وذكر ابن عبد الحكم «لم يزل الملامس بن جذيمة عريف حضرموت يدعو الأشباء والحرث حتى كان زمان معاوية بن أبي سفيان، ثم نقله معاوية، وكان قومه يدعونه، ثم تتابعوا على مثل قومه، فكتبهم وعريفهم»[٥].

وكان «ثابت بن مثوب القبض الرعيني عريف ربع رعين والمعافر[٦] وكان سعيد بن وهب الحيراني عريف قومه[٧].

---

(١) الولاة للكندي ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) ابن عبد الحكم ١٢٣.
(٣) الإكمال ٢/ ٣٣٣.
(٤) المصدر نفسه ٧/ ٤١٣، الإصابة ٣/ ٥٨٤.
(٥) ابن عبد الحكم ١٢٤.
(٦) الإكمال ٢/ ٢٨٢.
(٧) سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٠.

عرفاء الموالي

ذكرت المصادر عدداً من العرفاء على مجموعات من غير العرب فكان «ينه الحمراوي «شهد فتح مصر هو وأبوه، كان في شرف العطاء بمصر، وكان عريف الحمراء»[1]. وذكر سعيد بن عفير أن عبد الرحمن بن ينه الحمراوي «شهد فتح مصر هو وأبوه، كان في شرف العطاء بمصر، وكان عريف الحمراء، وقال ربيعة الأعرج لم يحضر عبد الرحمن فتح مصر مع أبيه، وإنما ولد في زمن معاوية سنة ٤٤هـ، وقال ابن يونس ولهم بمصر بقية في الحمراء، والحمام الذي يعرف في الحمراء بابن ينه لهم[2].

وكان سيبخت الفارسي «مقدَّماً بمصر، وكان على عرافة الفارسيين، وكان في شرف العطاء، ذكر ذلك سعيد بن عفير»[3].

وكان «زبيد بن الحرث الحجري، حجر حِمْيَر، كان عداده في العتقاء وكان عريفهم»[4].

وكان عبد الرحمن بن القاسم متولّي العتقاء[5].

وذكر ابن يونس أن «شريح بن شرحبيل من الحمراء، وكان من أصحاب ينه، وكان على مراكب الموالي[6].

وذكرت المصادر عرفاء موالي بعض العشائر العربية:

فكان عبد الرحمن مولى تجيب من سبي بلهيب، وكان سبي في خلافة عمر بن الخطاب، وكان عريف موالي تجيب زمن معاوية، وبنى له معاوية داراً[7] «وعبد الرحمن هذا هو ابن يحنس» مولى بني أبدي بن عدي

---

(١) الإكمال ١٨٣/٣.
(٢) المصدر نفسه ١٨٣/١.
(٣) المصدر نفسه ١٨٦/٤.
(٤) المصدر نفسه ١٨٦/٤.
(٥) المصدر نفسه ١٠٦/١ ابن عبد الحكم ١٢٠.
(٦) المصدر نفسه ٢٨٠/٤.
(٧) ابن عبد الحكم ١٢٠.

من تجيب، فهو الذي قتل ابن الزبير فَفُرِضَ له في الشرف وعرّف على موالي تجيب»[1].

وكان عامر جمل «عريف موالي مذحج بمصر»[2].

وكان حكيم بن أبي الدهني «مولى دهنة كان عريفاً عليهم»[3].

وكان عبد الله بن محمد بن حكيم بن أبي سعد عريفاً هو وأبوه وجدّه حكيم[4].

«وكان عبد الله بن أبي صالح مولى قريش يعرف بسابه، حضر فتح مصر، وكان عريف موالي قريش، عمّر طويلاً، وكان في شرف العطاء، ومات في أيام عبد الملك، ذكره سعيد بن عفير»[5].

وولّى بشر بن صفوان، شعيب بن مجمع بن أبي الرنداء على الموالي[6].

الرايات والأرباع

ذكرت المصادر الرايات والأرباع من تنظيمات مقاتلة الفسطاط دون أن تقدم معلومات توضّح طبيعتها وأهميتها؛ فأما الرايات فقد ذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص كان «يقف تحت راية بلي»[7].

وذكر ابن ماكولا كانت راية الأجذوم مدخل عمر مع حيان، أو حبان، بن يوسف، فلما استقرت الصدف عرّف عليهم عمران بن ربيعة[8] وكان «جونة بن

---

(1) الولاة للكندي ٥١ عجالة المبتدي.
(2) الإكمال ٢/١٢١.
(3) المصدر نفسه ٣/٣٩٩.
(4) المصدر نفسه ٣/٤٢، ٥/٤٢٨.
(5) المصدر نفسه ١/ ٢٨٠.
(6) الكندي ٧٠.
(7) ابن عبد الحكم ١٢٣.
(8) الإكمال ٢/٣٠٧، ١/٣١٥.

إياس المدلجي ثم الشريطي شهد فتح مصر وكان صاحب راية بني مدلج في الفتح»[1].

وأشار إلى أنّ «زيد بن عبيد الخولاني كانت معه راية خولان بصفين مع معاوية»[2].

وكان جوثة بن إياس المدلجي ثم الشريطي صاحب راية مدلج في الفتح[3].

ويقول ابن عبد الحكم: «كان الناس إذا كان فزع خرجوا براياتهم، وكان لكل قوم موقف، فكان موقف المعافر تحت الكوم يريد بالاسكندرية»[4].

ويقول ابن يونس عن حبيش أبي المحاضر الغافقي: «له ذكر في كتاب رايات مصر التي قضى بها عبد العزيز بن مروان بمصر سنة ٧٨هـ»[5].

أما الأرباع فإن ابن ماكولا قال: «أبو شيح ثابت بن مثوب القبض كان عريف ربع رعين والمغافر»[6].

وروى ابن حجران أنّ «عبادة بن الصامت شهد فتح فلسطين وكان أمير ربع المدد»[7].

الرؤساء والأشراف

وردت في المصادر إشارات إلى عدد ممّن كانت لهم مكانة متميزة، ووصفوا بأنهم: رؤساء وأشراف.

فاما الرؤساء فقد ذكر منهم خيثمة بن خيوان التجيبي ثم السومي، شهد فتح

(١) الإكمال ٢/١٤٩.
(٢) المصدر نفسه ٤/١٧٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٦٩.
(٤) ابن عبد الحكم ١٢٧.
(٥) الإكمال ٢/٣٣٢.
(٦) المصدر نفسه ٤/٢٨٢.
(٧) الإصابة في معرفة الصحابة ٢/٢٦٠.

مصر، وكان من رؤساء بني سوم بن عدي[١].

و«حريث بن ناهل بن غنم بن امرئ القيس الجذامي ثم الوائلي كان رئيس جذام، شهد فتح مصر»[٢].

و«حسان بن مرشد التجيبي ثم الأرزمي شهد فتح مصر وكان رئيساً فيهم»[٣].

و«عمرو بن العزفر سيد بني وائل شهد فتح مصر»[٤].

و«أحمد بن قطن الهمداني كان سيداً فيهم»[٥].

و«كان عمر بن العزر الجذامي من بني حرام» شهد فتح مصر وكان سيد بني وائل[٦].

أما الاشراف في مصر فممّن ذكرتهم المصادر «عرفة بن الحرث الكندي، شهد فتح مصر وكان من أشراف أهلها»[٧].

و«صلة بن وهب الغفاري، كان شريفاً»[٨].

و«ضوبان بن عمر الجذامي شهد فتح مصر، وكان شريفاً»[٩].

و«أشعر بن وهب الجذامي شهد فتح مصر، وذكره ابن عفير في أشراف جذام»[١٠] ، «شريفاً مقدماً بمصر عند عبد العزيز بن مروان»[١١].

---

(١) الإكمال لابن ماكولا ٢/ ٥١٨، الأنساب للسمعاني ٣/ ٣٣٨ (طبعة بيروت).
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٢ (عن ابن يونس).
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٤٠، الإصابة ١/ ٤٥٨.
(٤) المصدر نفسه ٧/ ١١٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٦٨.
(٦) المصدر نفسه ٧/ ٢٦٣.
(٧) الإصابة ٣/ ١٨٢.
(٨) الإكمال ٧/ ١٩.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٧١.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٢.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٥.

و«المسور الجذامي ذكره ابن عفير في أشراف مصر»[١].

و«عرفة بن الحرث الكندي شهد فتح مصر، وكان من أشراف أهلها»[٢].

و«خالد بن أسميفع بن وعلة السبائي، كان شريفاً بمصر في أيامه»[٣].

و«حفص بن الوليد، كان أشرف حضرمي بمصر توفى سنة ١٢٨هـ»[٤].

و«يزيد بن أبي اللخمي[٥] وثعلبة بن أبي رقية»[٦].

---

(١) الإصابة ٣/ ٤٧٠.
(٢) المصدر نفسه ٣/ ١٨٢.
(٣) الإكمال ٧/ ٤٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٤٩ (عن هاني بن المنذر)
(٥) الإصابة ٣/ ١٣٧.
(٦) الإكمال ٤/ ٨٩.

الفصل السابع

مراكز الادارة في الفسطاط
دراسة خططية

مقام الأمراء

ذكر القلقشندي «وكان الامراء القائمون مقام ملوكها الآن ينزلون الفسطاط، ولم يكن لهم في ابتداء الأمر مقرات معينة ولا دار للإمارة مخصوصة، فنزل عمرو بن العاص أول أمرائها بداره بالقرب من الجامع، ولم يزل كل أمير بعده ينزل بالدار التي يكون بها سكنه»[١]، والواقع إن المصادر لم تذكر «داراً للامارة» في العهود الأولى، «فعمرو بن العاص اختط داره التي هي له اليوم عند باب المسجد بينها وبين داره الأخرى اللاحقة إلى جنبها الطريق»[٢]؛ و«اختطّ عبد الله ابنه هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع وبناها هذا البناء، وبنى فيها قصراً على تربيع الكعبة[٣]».

لم تشر المصادر إلى مكان نزول الولاة بعد عمرو بن العاص إلى أن جاءها مروان بن الحكم بعد توليه منزل «دار الفلفل التي في قبلة المسجد الجامع اليوم، وقال لا ينبغي لخليفة أن يكون ببلد ليس له فيها دار، فأمر بالدار البيضاء فبنيت له[٤].

(١) صبح الأعشى ٣/ ٣٣١.
(٢) ابن عبد الحكم ٩٦.
(٣) المصدر نفسه ٩٧.
(٤) الولاة للكندي ٤٥.

وذكر ابن عبد الحكم ان الدار البيضاء كانت خطة عبد الرحمن بن عويس البلوي «ويقال بل كانت الدار صحناً بين يدي المسجد ودار عمرو بن العاص، وموقفاً لخيل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر في سنة ٦٥هـ، فبناها لنفسه، وقال ما ينبغي للخليفة أن يكون في بلد لا يكون له بها دار فبنيت له في شهرين»[١].

فأما دار الفلفل فقد قال ابن عبد الحكم عنها: «اختط قيس بن سعد بن عبادة في قبلة المسجد الجامع دار الفلفل، وكانت فضاء فبناه لما ولي البلد... فكان الناس يقولون إنها له، فقال إنّما بنيتها من مال المسلمين لا حقّ لي فيها.. فهي للمسلمين ينزلها ولاتهم»، وتروى أن دار الفلفل ودار الزلابية التي إلى جنبها لنافع الفهريين التي في زقاق القناديل بها، ويقال بل كانت دار الفلفل لسعد بن أبي وقاص فتصدّق بها على المسلمين، وسميت دار الفلفل لأنّ أسامة بن زيد التنوخي خزّن فيها فلفلاً كان يراد إهداؤه إلى ملك الروم[٢]».

وذكر ابن عبد الحكم أن انتناس صاحب الجند وخراج سلمة سأل معاوية أن يجعل له منزلاً قرب الديوان، فكتب أن يشتري له منزل وردان، فأخذ انتناس المنزل[٣]، فلما مات انتناس أقطعه عمر بن وردان وجعل دار الرمل للمسلمين تنزلها ولاتهم ولم يكن بني منها إلا أسفلها حتى بنى أعلاها القاسم بن عبيد بن الحجاب»[٤].

وفي ولاية قحطبة، الوالي العباسي، نزل يحيى دار الفلفل[٥].

ذكر الكندي، «أمر عبد العزيز (بن مروان) ببنيان الدار المذهبة في سنة

---

(١) إبن عبد الحكم ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه ٩٨.
(٣) االمصدر نفسه ٩٨.
(٤) ابن عبد الحكم ١٠١، وانظر تعليق السر هاملتون جب في كتابه «دراسات في الحضارة الاسلامية».
(٥) الولاة للكندي ١١٠.

٦٧هـ وهي التي تدعى المدينة بسوق الحمام، وهي غربي المسجد الجامع»[1]؛ ويقول القلقشندي: «وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر في خلافة أخيه عبد الملك بن مروان قد بنى داراً عظيمة بالفسطاط وسمّاها دار الذهب، وجعل لها قبّة مذهبة، وكانت تعرف بالمدينة لسعتها وعظمها، وكان عبد العزيز ينزلها ثم نزلها بنوه بعده فيها»، ثم ذكر ان مروان بن محمد عندما هرب إلى مصر أمر بإحراقها[2].

فأما دار الحمام فإن ابن عبد الحكم يذكر أن عبد الملك أقطعها عمر بن علي ثم اشتراها فيما بعد موسى بن عيسى، وهي إلى جنب أصحاب القرط، وتعرف في زمنه بدار السلسلة[3]، وأنها كانت «دور بعمد رخام وجعل قاعتها مستديرة ولم يجعل فوقها بناء، وبنى لها مسجد القرون[4]، وهي غير بعيدة، عن دار ابن رمانة، التي اشتراها عبد العزيز بن مروان، ووهبها لابن رمانة وأعطى بعضها ابنه الأصبغ[5].

ويذكر ابن دقماق ان صالح بن علي الهاشمي عند وصوله إلى مصر بنى داراً للإمارة بعد هزيمة مروان في الموضع المعروف بدار مخرير الأوغاش، وكان لهذه الدار أبواب دعوها إلى حوض ابن دقماق والآخر بباب الخاصة، وكان الأمراء ينزلونها إلى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحولت إلى القطائع[6].

ويذكر القلقشندي أنّه «لما غلب بنو العباس على بني أمية ولوها صالحاً، واستقر أميراً على مصر في خلافة السفّاح أول خلفاء بني العباس، وابتنى داراً للامارة ونزلها، وصارت منزلاً للامراء بعده إلى أن ولي أحمد بن طولون الديار المصرية فنزلها في أول أمره ثم اختطّ بعد ذلك قصره المعروف بالميدان، بين

(١) الولاة للكندي ٤٩.
(٢) صبح الاعشى ٣/ ٣٣١.
(٣) ابن عبد الحكم ١٣٤.
(٤) المصدر نفسه ١٣٥.
(٥) المصدر نفسه ١٠٣.
(٦) ابن دقماق ١٠، وانظر ص١٢١.

قلعة الجبل الآن والمشهد النفيسي وما يلي ذلك في سنة ٢٥٦هـ بأمر من الخليفة. وبنى ابن طولون داراً عظيمة بالفسطاط عند المصلى القديم، فلما هدم محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن طولون بالقطائع سكن هذه الدار... واستقرت منزلة للأمراء إلى أن ولي الإخشيد مصر فزاد في عظمتها وعمل لها ميداناً، وجعل لها باباً، من حديد، وذلك في سنة ٣٣١هـ، ولم تزل منزلة للأمراء إلى ان غلبت الخلفاء الفاطميون[١].

إن قول القلقشندي الذي لم يذكر مصدره بعدم وجود دار إمارة في الفسطاط في العهود الأولى من تأسيسها يؤيّده عدم ذكرها في الخطط المفصّلة التي رواها الخططيون الأولون، أما كلامه عن «دار الذهب» التي شيدها عبد العزيز بن مروان، فقد تكون في موقع دار الرمل أو قربه، وإنها أزيلت فلم يعد لها ذكر.

أما كلام القلقشندي، عمّا تم تشييده في أول الخلافة العباسية فإن ابن تغري بردي يشير إلى أنّه، «لما قدم صالح بن علي وأبو عون بمجموعهما إلى مصر في طلب مروان الحمار، نزلت عساكرهما الصحراء جنب يشكر الذي هو الآن جامع أحمد بن طولون، وكان فضاءً، فلما رأى ابن عون ذلك أمر اصحابه بالبناء فبنوا، وبنى هو به أيضاً دار الإمارة ومسجد عون بجامع العسكر، وسمي يومئذ الفضاء بالعسكر، وصار منزلاً لأمراء مصر من بعد أبي عون، وصار العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة»[٢] ويذكر القلقشندي أن خمارويه «جعل دار الإمارة بالعسكر ديوان الخراج»[٣]، وذكر الكندي أنّ «دار الامارة القديمة بالعسكر»[٤].

ويشير ابن دقماق «إلى أن صالح بن علي الهاشمي بنى دار الامارة بمصر بعد هزيمة مروان في الموضع المعروف بدار مخرير الأوغاش، وكان للدار أبواب دعوها إلى حوض ابن قديد فضلاً عن باب الخاصة، وكان الأمراء

---

(١) صبح الأعشى ٣/ ٣٣١ ـ ٤.
(٢) النجوم الزاهرة ١/ ٣٢٦ ـ ٧.
(٣) صبح الأعشى ٣/ ٣٢٨.
(٤) الولاة ٢٤٣.

ينزلونها إلى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول عنها إلى القطائع.

وذكر ابن عبد الحكم العسكر وما كان يعتمد به من الخطط، فقال خطط «مهرة من يشكر على سفح جبل يشكر مما يلي الخندق إلى شرقي العسكر، إلى جنان بني مسكين اليوم، وكان مسجد مهرة هناك فيه دار، حتى أدخله طريف الخادم في دور الجبل حين بناها»[1] وقال: «انتهيت إلى درب حوى وتركته، وأممت العسكر فهو لفهم، حتى تتابع العسكر، وذلك خطة بني شبابة من فهم.. ويذكر أن بجنب شبابة هذيل ويساره دهن من الأزد حتى تلقى يشكر من لخم في جبل يشكر»[2]، ويذكر، أن «أهل مصر اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون التي عند العسكر» ثم «قدموا مصلاهم في موضعه الذي هو اليوم»[3]. وذكر الكندي أن «أهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون التي عند المعسكر، فقال ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل المعروف الملعون، وتركوا الجبل المقدس، قال الحسن بن ثوبان فقدموا مصلاهم إلى موضعهم اليوم»[4].

يتبين من هذه النصوص أن المعسكر الذي نزلته القوات التي أرسلها العباسيون إلى مصر كان عند جبل يشكر، و عنده لخم التي نسب الجبل إلى أحد بطونها، وبنى فهم، وهذيل، ودهن من الأزد.

كان للعسكر مركز للشرطة غير الذي في الفسطاط، فقد وضع صالح بن علي على شرطته بالفسطاط عكرمة بن عبد الله بن مخرم، وعلى شرطة المعسكر يزيد بن هانئ الكندي من أهل جرجان[5].

---

(١) ابن عبد الحكم ١١٨.
(٢) المصدر نفسه ١٢٠.
(٣) المصدر نفسه ١٥٨.
(٤) الولاة للكندي ١٣.
(٥) المصدر نفسه ١٠٢.

الدواوين

لا بد ان تأسيس الفسطاط واستقرار مقام المقاتلة العرب فيها رافقهما ـ شأن ماحدث في الأمصار الأخرى ـ إعداد سجلات بأسماء المقاتلة ومقدار عطاء كل منهم، وبعض متطلبات التجهيزات العسكرية وما يتصل بها، وتميزت مصر بتوفر أوراق البردي التي كانت أكثر الوسائل الملائمة للتدوين، ولا بد أنها كانت تستعمل في سجلات الدواوين إلا أنه لم تصلْ إلينا أية بردية فيها معلومات عن ديوان الجند، مع كثرة المكتشف والمنشور من هذه البرديات التي يتعلق أكثر ما نشر منها بالضرائب وعقود المعاملات والمكاتبات[1].

ولا ريب في أن الدواوين هي المؤسسات التي تحفظ السجلات المتعلقة بما اختصت به، وهي متعددة تبعاً لمتطلبات الدولة كديوان الخراج، وديوان الرسائل وديوان المواريث، وقد تردد في المصادر ذكر الديوان في مصر دون إشارة إلى تخصّصه؛ والراجح أن أكثر هذه الإشارات هي إلى ديوان الجند نظراً لما له من الأهمية، ولم أجد في المصادر التي اطلعت عليها ذكراً لموقع ديوان الجند في خطط الفسطاط، والراجح أنه لم يكن بعيداً عن دار الإمارة، وفي سنة ١٤٠هـ نقلت الدواوين إلى دار الرمل[2]، ثم حول سنة ١٤٦هـ من المعسكر إلى الفسطاط وجعلت الدواوين في كنائس القصر[3].

ولم تذكر المصادر إلا عدداً قليلاً ممن ولي ديوان الجند، مع العلم أن تعامله مع المقاتلة العرب يقتضي ان تكون سجلاته مدوّنة بالعربية، وأن من وليه كان من العرب، وهذا لا يمنع استخدام بعض الأقباط المطّلعين على أحوال العرب في الأعمال القانونية للديوان، ولا يبعد أن يكون قد اتبع في أساليب عمله ما فصّلته الكتب المختصة، وأقدم كتاب واسع وصل إلينا منها هو كتاب «الخراج وصنعة الكتاب» لقدامة بن جعفر، فضلاً عن الكتب الكثيرة التالية التي

---

(١) انظر كتاب جروهمان «من اوراق البردي العربية». وكتاب عبد العزيز الوالي «البرديات العربية».

(٢) ابن عبد الحكم ١٠٩.

(٣) الولاة للكندي / ١١.

فصّلت في ديوان الجند وتنظيم عمله[١]، مع الإشارة إلى أن الديوان كانت تحكم عمله في العهود الإسلامية الأولى في الأمصار ومنها الفسطاط أحوال المقاتلة وتنظيماتهم.

يقول ابن دقماق إن دار النحاس اختطها وردان، فكتب مسلمة بن مخلد أمير مصر يسأل معاوية أن يجعلها ديواناً، فكتب معاوية إلى وردان يسأله فيها، وعوّضه عنها دار وردان[٢].

بيت المال

نقل ابن عبد الظاهر أن «أسامة بن زيد بنى أيضاً بيت المال بمصر[٣]»، وأسامة ولي مصر بعد عمرو بن العاص، ولم تذكر المصادر موقع هذا البناء، وإنما ورد ذكر بيت المال في أخبار حوادث نهاية العصر الأموى وأوائل العصر العباسي، فلما ولي مروان بن محمد الخلافة واضطربت الأحوال «تولّى أمر الفسطاط عبد الرحمن بن سالم، وختم على الدواوين وبيت المال إلى أن قدم حوثرة الذي ولّاه مروان مصر»[٤].

ولما ثار خالد بن سعيد مؤيّداً دعوة بني الحسين بن على «عمد إلى المسجد الجامع» ووقف على الباب الذي من ناحية بيت المال، فكلّم خالد بن سعيد وهو فوق ظهر المسجد[٥]، وهذا يشير إلى أن بيت المال كان بالقرب من المسجد الجامع.

وفي زمن خلافة أبي جعفر «ورد كتاب أبي جعفر على يزيد بن هاشم يأمره بالتحول من المعسكر إلى الفسطاط، وأن يجعل الدواوين في كنائس القصر»[٦]، ولم تذكر المصادر ما يوضح القصر المذكور أو موضع الدواوين قبل نقلها.

---

(١) انظر «ديوان الجند». لعبد العزيز بن عبد الله السلوي.
(٢) ابن دقماق ٦.
(٣) الفضائل الباهرة لابن عبد الظاهر ١٧٩.
(٤) الولاة للكندي ٨٨.
(٥) الولاة والقضاة ١١٢، ١١٣.
(٦) الولاة للكندي ١١٥.

وقد وردت إشارات إلى عدد ممن ولي الديوان، فقد ولّى معاوية جويث بن زيد الديوان[1] وكان على الديوان في سنة ١٢٤هـ يحيى بن عمرو الكندي من أهل عسقلان[2]. وذكر أنه في سنة ١٣٣هـ ولّى عون عبد الملك بن يزيد في ديوان الجند فوجد فيه بعض الخلل فولّى عليه عبد الرحمن بن سالم، وكان «أعلم الناس في أمور الديوان»[3].

وممن ذكر أنه كان كاتباً في الديوان إسماعيل بن نصر[4]، وحفص بن رجاء بن جميل[5]، وحويث بن يزيد مولى بني ليث[6].

وأشار الكندي إلى براءة وجدها في ديوان بني أمية زمن مروان بن محمد[7] وأن أعطيات العشيرة ثلاث سنين[8]، وأن يقضى مع صاحب الديوان في متعة المطلقة[9].

بيت المال

نقصد ببيت المال المكان الذي كانت توضع فيه النقود من الجبايات وغيرها، وتكون مرصودة للمصالح العامة. وكان يسمى أحياناً التابوت[10]، فهو خزانة المال ويتطلب مكاناً محكماً يحميه من السرّاق والمعتدين، وهو يختلف عن الديوان الذي يحفظ السجلات ويكون مرجع الكثيرين. يروى ابن دقماق عن أبي يونس أن بيت المال في بحري الجامع بناه قرّة بن شريك. وهو أمير مصر سنة ٩٦هـ، ويقال إن بيت المال بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخي في

---

(١) ابن عبد الحكم ٨٦.
(٢) الولاة للكندي ١٢٤.
(٣) المصدر نفسه ٣٥٤.
(٤) الإكمال لابن ماكولا ١/١٢٦.
(٥) المصدر نفسه ٥/١٥٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/٤٧٣.
(٧) الولاة للكندي ٣٥٢.
(٨) المصدر نفسه ٣٠٢.
(٩) المصدر نفسه ٣١٧.
(١٠) المصدر نفسه ٧٠، ١١٧.

سنة ٩٩هـ، وكان مال المسلمين فيه، ونهب في فتنة النفس الزكية[١].

وذكر المقريزي أن «بيت المال» الذي من علو الفوارة بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخي متولّي الخراج بمصر سنة ٦٧هـ في أيام سليمان بن عبد الملك. وظل إلى زمن امارة أحمد بن طولون[٢].

ولم ترد إشارة تاريخية إليه قبل ذلك، وإن كان سياق الأمور يقتضي ألا يكون مكانه بعيداً عن مقام الولاة الذي لم يكن ثابتاً في العهود الأولى، بَيْدَ أنّه كان دائماً غير بعيد عن الجامع، وإن موقع بيت المال في داخل الجامع يؤكّد أنه لم يكن يشغل مساحة واسعة. فقد ذكر ابن دقماق أن بيت المال العتيق كان غربي الجامع من علو الفوارة[٣].

ولا بد أن بعض المصادر قد أشارت إلى بيت المال باسم الديوان، فذكر المقريزي أن الديوان لضمان المسجد الجامع بمصر[٤].

وذكر ابن عبد الحكم أن دار النحاس اختطها وردان، فكتب مسلمة بن مخلد أمير مصر يسأله أن يجعلها ديواناً، فكتب معاوية إلى وردان يسأله فيها وعوّضه عنها دار وردان التي بسوقه[٥]. وذكر ابن دقماق معلومات أوفى تؤيّد ذلك فذكر عن الزيادات في الجامع من ثلاث جوانب: الأول يعني البحرية (الشرقية) لها من باب النحاسين، وانه صار له أربعة أبواب وهي الأبواب الموجودة الآن من شرقيّه، آخرها باب بني إسرائيل وهو باب النحاسين، وأن صالح بن عبد الله يقال «إنه أدخل في الجامع دار الزبير بن العوّام وكانت ملاصقة لدار النحاس[٦]. وأشار الكندي إلى أنه بناحية بيت المال تقع سوق الحمام[٧].

(١) ابن دقماق ٦٤ ـ ٦٥.
(٢) المقريزي ٢/٥٤٩.
(٣) ابن دقماق ٦٤، وانظر الولاة للكندي ١١٢.
(٤) المقريزي ١/٢٠١.
(٥) ابن عبد الحكم ٩١؛ ابن دقماق ٦ عن ابن عفير.
(٦) ابن دقماق ٦٤ ـ ٦٥.
(٧) الولاة للكندي ١١٣.

وذكر المقريزي أن دار النحاس هذه من الدور القديمة، وقد دثرت وصار الخط يعرف بها، قال القضاعي دار النحاس اختطّها مروان مولى عمرو بن العاص، فكتب مسلمة بن مخلد، وهو أمير مصر إلى معاوية يسأله أن يجعلها ديواناً (بيت المال) فكتب معاوية يسأله فيها فوافق وعوّضه منها داراً.

كانت هذه الدار من خطة الحجر من الأزد، فاشتراها عمر بن مروان، وبناها، فكانت في يد ولده، وقبضت وبيعت وصارت في الصوافي سنة ٣٠٨هـ، ثم صارت مملوكة للإخشيدي فبناها قيسارية وحماماً، فصارت دار النحاس قيسارية[١].

ويقول ابن دقماق «وأما هذه الدار العظمى التي عند المصلّى القديم إلى زمن الإخشيدي، وهو بدار الفسقية في القبة التي كانت بنيت من مال المسلمين، فكان فيها موضع أموال الأيتام عشرة أعمدة»[٢].

إن الفوارة من أبرز المعالم عند بيت المال بناها الوزير ابن كلس بأمر العزيز بالله[٣] تحت قبة بيت المال والمساقف الخشب المحيطة بها، وهو أول من عمل فيه فوارة[٤]، وقد عملت سنة ٣٧٨هـ، حول سلم المؤذنين إلى غربي المسجد وكانت عند باب إسرائيل إلى رحبة الحارث بن مسكين[٥]. ثم وقع سنة ٤٧٥هـ حريق التهم ثلاث حنايا من باب اسرائيل إلى رحبة الحارث بن مسكين، فهلك فيه أكثر زيادة عبد الله بن طاهر[٦]. وبيت المال من علو الفوارة[٧].

وفي سنة ٤٤٢هـ وضع في عرض الخزانة مرفأ ينزل إليه المؤذنون نحو بيت

---

(١) المقريزي ١/٣٤٦.
(٢) ابن دقماق ٦١.
(٣) المقريزي ٢/ ٢٥٠.
(٤) ابن دقماق ٦٨، المقريزي ٢/ ٢٥٠.
(٥) المقريزي ٢/٢٤٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٠.
(٧) المصدر نفسه ٢/٢٤٩.

المال، وجعل له مطلع مسطّح من الخزانة المستمدة من ظهر المحراب الكبير، وجعل له مطلع آخر من الديوان الذي في رحبة أبي أيوب[1].

وصف ابن رسته موقع بيت المال وبناءه فقال «وان بيت مال مصر في المسجد الجامع قدّام المنبر، وهو متصل من سطوح المسجد، لا يتصل بشيء منها، وهذا مرفوع بأساطين من حجارة، وهي شبه قبة، يجلس الناس تحت البيت ويرون تحته، وهناك قنطرة من خشب، وإذا أرادوا دخول ذلك البيت عبروا تلك القنطرة حتى يستقروا منها على سطح المسجد، فإذا خرجوا ردّوا القنطرة وعليها باب حديد وأقفاله، وإذا صلّوا العشاء الآخرة أخرج الناس كلّهم من المسجد، وذلك لحال بيت المال»[2].

دار الضرب

لا تتوافر معلومات عن ضرب النقود قبل التعريب، والراجح أن مصر كانت مركزاً من مراكز الضرب. اما بعد تعريب النقود فإن زامباور يذكر في كتابه عن العمله الإسلامية نقوداً ضربت في الفيوم سنتي ٧٨، ٧٩هـ مما يدل على أنها كانت مركزاً لسك النقود، ثم انقطع ذلك، وأصبح يُنقش على النقود أنها ضربت في مصر دون تحديد المكان، والراجح أن المقصود هو الفسطاط التي لم يُنَصّ عليها إلا في نقد واحد ضرب سنة ١٣٢هـ، وأما مصر فيظهر من «كتالوج» زامباور أن اسمها يظهر على نقود سُكَّتْ متقطّعة في سنوات ٩٣هـ/ ١٠١هـ/ ١١٢هـ/ ١١٤هـ/ ١٣٢هـ فما بعد، وإن كانت متقطّعة.

وقد ذكر زامباور نقداً ضرب في الفرما سنة ١٤٥هـ[3].

ووردت إشارات تدل على موقع دار الضرب قرب المسجد الجامع، وأول إشارة إليها هو في كلام ابن دقماق، أن عبد الله بن طاهر لمّا زاد في المسجد

---

(١) المقريزي ٢/٢٥٦.

(٢) الأعلاق النفيسة ١١٦.

(٣) انظر زامباور: Cataloge de Islamischen Munzen

«أدخل زقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل، حتّى لم يبق منها غير دار الضرب اليوم»[1].

وفي خلافة المتوكل أمر الحارث بن مسكين قاضيه... ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع بها الناس[2]. ثم زاد أبو بكر محمد بن عبد الله المخازن رواقاً واحداً من دار الضرب، يشتمل على الرواق والمحراب والشباكين المتصلة برحبة الحارث ومقدارها تسعة أذرع[3].

وفي رمضان سنة ٤٤٠هـ جددت الخزانة التي في ظهر دار الضرب على طريق الشرطة مقابلة لظهر المحراب الكبير. وبعد سنتين نُصب في الخزانة مجلس من دار الضرب وطريق المستحم[4].

الأهراء

يذكر ابن دقماق أن الاهراء التي يخزن فيها القمح للجند من زمن معاوية إلى خلافة بني هاشم كانت غربي المسجد في دار السلسلة، وهي من دور الفهريين، ويشير إلى أن بالفسطاط غير دار يقال لها السلسلة سوى دار الفهريين[5].

ويذكر ابن عبد الحكم أن دار السلسلة أقطعها عبد الملك بن مسلمة عبد العزيز الفهري، وأنه أعيد بناؤها[6]، وهي بالقرب من مجزرة اليهود. وبالقرب منها مسجد القرون[7].

---

(١) ابن دقماق ٦٦.
(٢) المصدر نفسه ٦٥.
(٣) المصدر نفسه ٦٦، خطط المقريزي ٢/ ٢٥٠.
(٤) خطط المقريزي ٢/ ٢٥١.
(٥) ابن دقماق ١١.
(٦) ابن عبد الحكم ١٣٥.
(٧) ابن دقماق ٢٦، ٣٣، ٨٦.

دار الشرطة وحبس المعونة

ذكر ابن دقماق أن الولاة كانت تنزل دار الرمل، وأن موقع الشرطة كان شرقي دار الرمل[1]. ونقل عن الكندي أن الدار المعروفة بالشرطة كانت خطة لقيس بن سعد بن عبادة صاحب النبي (ص) تعرف بدار الفلفل[2].

ولعل بالقرب من دار الشرطة حبس المعاون التي ذكر المقريزي أنها قِبَل جامع عمرو بن العاص، وأصله خطة قيس بن عبادة التي أوقفها «فهي للمسلمين ينزلها ولاتهم»[3].

لم تذكر المصادر غير مركز واحد كان للشرطة، في الفسطاط إلى أن ولي صالح بن علي مصر فأنزل جنده الحمراء القصوى، وكانت في زمانه قد دثرت عمارتها حتى صارت صحراء[4]، وولّى صالح بن علي على شرطة الفسطاط عكرمة بن عبد الله بن مخزم، وعلى شرطة العسكر يزيد بن هاني الكندي، وهذا أول ذكر لصاحِبيْ شرطة في مصر[5].

وذكر المقريزي أن السري بن الحكم لمّا ولي مصر سنة ١٥١هـ أذن للناس في البناء، فابتنوا فيها وصار مملوكاً بأيديهم، واتصل البناء ببناء الفسطاط، وبنيت دار الإمارة ومسجد جامع عرف بمسجد العسكر، وعرف بجامع ساحل الغلة، وعملت الشرطة العليا أيضاً في المعسكر، وقيل لها الشرطة العليا، وإلى جانبها بنى أحمد بن طولون جامعه[6].

يظهر من هذا النص إلى أن شرطة العسكر سميت لأول مرة الشرطة العليا في زمن السري بن الحكم.

ويبدو أن العسكر لم يُهجر بعد صالح بن علي، فقد نزله موسى بن كعب

(١) ابن دقماق ٥.
(٢) المصدر نفسه ٧.
(٣) الخطط للمقريزي ٢/ ١١٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١١٧.
(٥) الولاة والقضاة للكندي ١٠٢.
(٦) المقريزي ٢/ ٤٦٤، ١/ ٣٠٤.

لمّا ولي مصر سنة ١٤١هـ[١]، كما كان ينزل فيه يزيد بن الحكم ١٤٠هـ، وفي سنة ١٤٥هـ ورد كتاب أن يتحول من العسكر إلى الفسطاط[٢]، ولما قدم عبد الله بن طاهر والياً على مصر نزل داره «وهي الدار الملاصقة للشرطة العليا» فأقام بها شهوراً ثم انصرف إلى العراق[٣].

وكانت للشرطة العليا دار أحمد بن طولون قبل أن ينتقل إلى القطائع هناك، وكانت لهم ملاحق عدة يسكنها نحرير الأرغلي الذي قتل يوم دخول جوهر مصر[٤].

دار الأضياف

بنى عبد العزيز بن مروان إبّان ولايته مصر دار الاضياف، وكانت لاضيافه ينزلون بها[٥]، وموقعها عند الحمام التي بالخشابين[٦]، ولم تذكر المصادر غيرها لهذا الغرض، أو فيما إذا كان ممن ولي مصر بعده استعملها لهذا الغرض.

السجن

ورد أول ذكر للسجن في الفسطاط في زمن عيسى بن يزيد الجلودي. ويذكر ابن عبد الحكم ان «دار سهل القصر الذي يقال له قصر مارية، هدمه عيسى بن يزيد الجلودي، وكان مع عبد الله بن طاهر، وهو السجن الذي عند محرس بناته، ومارية ام محمد بن عبد العزيز بن مروان، وفي دار سهل السراجون وحمام سهل؛ فكان في الدور لعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو عند منزل عمرو بن سواد السرجي[٧].

---

(١) الولاة والقضاة للكندي ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه ١١٥.
(٣) ابن دقماق ١٠ ـ ١١.
(٤) المصدر نفسه ١١، وانظر، حسن ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر ٢٩٥.
(٥) ابن عبد لحكم ١٣٣.
(٦) ابن دقماق ١١، قد عمرت حمام الخشابين فندقاً في العصور التالية ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٧) ابن عبد الحكم ١١٢.

الفصل الثامن

مشاركة المصريين في الثورات ودلالاتها على التوجّهات القبلية والسياسية

شارك أهل الفسطاط في عدد من الحوادث الكبيرة التي ثارت حول الخلافة وشاغليها. وأولها الاحتجاج على الخليفة عثمان ثم مقتله، وما تبع ذلك من نزاع بين علي ومعاوية؛ والثانية ما حدث من منازعات بين الأمويين وابن الزبير، والثالثة الأحداث التي تلت مقتل الوليد بن يزيد إلى أن استقرت الخلافة للعباسيين، وكان الإسهام في هذه الأحداث كافة مقصوراً على العرب، ولاسيّما المقاتلة منهم، فلم يذكر إسهامٌ لغيرهم أو ثورات للأقباط إلا بعد تولي العباسيين الخلافة، وهو ما يخرج عن نطاق بحثنا.

ذكرت المصادر عن هذه الحركات كافة معلومات متباينة في مقدارها، ولكنها، من حيث العموم، تبرز دور أشخاص من قادتها، ولا تفصّل في مدى إسهام جمهور المقاتلة، أو مدى الدعم العشائري والعقائدي لهؤلاء البارزين.

ويلاحظ أن ابن عبد الحكم، وهو أقدم مؤرخ في مصر وصل إلينا كتابه الكبير «فتوح مصر وإفريقية» لم يشر إلى الفتن والمساهمين فيها، أما الكندي وهو المؤرخ المصري البارز الثاني، فإنه اقتصر في كتابه، «الولاة والقضاة» على ذكر معلومات قيّمة، ولكنها مقتضبة، عن المشاركين في الثورات، ولا يذكر التفاصيل عن دوافعهم أو مدى تأثيرهم في مجرى الأحداث، وأما المؤرخون الحجازيون والعراقيون فقد قدموا معلومات أوسع، ولا سيّما ما حدث في المدينة؛ وأشاروا باقتضاب إلى إسهام المصريين فيها.

أهل الفسطاط وفتنة عثمان

كان الاحتجاج على عثمان، وما رافقه وتلاه من أحداث، أول حركة عامة شاركت فيها جماعات من أمصار عدة، هي مصر والكوفة والبصرة، وحدثت بتنسيق بينهم في وقت واحد، وقد يدل هذا أنها تمت بناءً على تخطيط عام سابق أعدته جهة واحدة لإثارة جماعات متباعدة في المكان، في الأحوال الخاصة من التركيب القبلي، لا يجمعهم إلا اتفاقهم على أحوال مثيرة للتذمّر لم يعالجها الخليفة. وينسب سيف بن عمر هذا الإعداد والتنسيق إلى عبد الله بن سبأ[١]، غير أن الدراسات المتعمقة أظهرت عدم صحة هذه التسمية[٢]، اذ كان للمحتجين من كل بلد شكاوى خاصة من تصرّفات محلية، وإنّ عدد من جاء من كل مصر كان متقارباً تقريباً، فمن البصرة حوالى مائتين، ومن الكوفة حوالى خمسمائة، ومن مصر بين ستمائة وألف.

كان أهل الفسطاط هم البادئين في الحركة، ويذكر الطبري أن أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة، وجميع من أجابهم، أن يثوروا على أمرائهم، وكان لهم الدور الفاعل[٣] وصار أهل الكوفة وأهل البصرة، تبعاً لأهل مصر وحشوة فيهم[٤].

تجمع المصادر على أن المحركَين البارزين لتحرك المصريين هما محمد بن أبي بكر، ومحمد ابن أبي حذيفة، وكلاهما ابن صحابي بارز، فمحمد هو ابن أبي بكر الصديق الذي كان صديق الرسول (ص) قبل البعثة، وكان من أول من استجاب لدعوته (ص) وظل رفيقه، وهاجر معه، وكان حموه، ثم كان أول خليفة للمسلمين. أما محمد بن أبي حذيفة فإن أباه من أوائل من استجاب لدعوة الرسول (ص) وهاجر إلى الحبشة ثم عاد، وهاجر إلى المدينة وشارك في

(١) الطبري ١/٢٩٤٢.
(٢) انظر عن ابن سبأ: الطبري ١/٢٨٥٨/٢٩٤٢.
(٣) الطبري ١/٢٩٤٩.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٠٧٧.

الغزوات كافة، ثم قتل في معركة اليمامة[١]، وشارك المحمّدان في غزوة ذات الصواري، واتصلا خلالها بكعب الأحبار[٢]، وبدأت نقمتهما على الخليفة عثمان، غير أن محمد بن أبي بكر عاد بعد الغزوة إلى المدينة، أما محمد بن أبي حذيفة فقد استقر في الفسطاط[٣].

ويذكر الطبري أن ابن أبي حذيفة، «أفسد أهل تلك الغزوة، فقدموا على بلدهم وقد أفسدهم وأظهروا القول ما لم يكونوا ينطقون به[٤]»، ولم تذكر المصادر دافعه إلى هذا التوجه، أو مدى اتساع نشاطه، كذلك فإن المصادر لم تذكر التركيب القبلي للمشاركين في تلك الغزوة.

تابع محمد بن أبي حذيفة نشاطه في إثارة التذمر، ويبدو أنه أحرز نجاحاً لا نعلم مداه، ولكنه لم يكن قليلًا، فوفد عبد الله بن سعد، وهو قائد حملة ذات الصواري وأمير مصر «إلى أمير المؤمنين عثمان حين تكلم الناس بالطعن على عثمان» وكانت وفادته في وجوه الجند في رجب سنة ٣٥هـ[٥]. ويروي ابن شبّة، أن عثمان أرسل عمّار بن ياسر لتهدئة الوضع، ولكنه «أظهر القبيح وقال ما لا يحل، وأطاف به قوم من أهل الدين والقرّاء[٦]»، «أي إنه حرض أهل مصر»، ثم انتزى من محمد بن أبي حذيفة سنة ٣٥هـ على عقبة بن عامر خليفة عبد الله بن سعد، «فأخرجه من الفسطاط ودعا إلى خلع عثمان، وحرّض عليه بكل شيء يقدر عليه، وأسعر البلاد[٧]» ولم تذكر المصادر الأفكار التي دعا إليها أو الأساليب التي اتّبعها.

أحرز ابن أبي حذيفة في دعوته نجاحاً مكّنه من إقصاء والي الفسطاط

(١) ابن سعد ٣ ـ ٨/١، وانظر: نسب قريش لمصعب الزبيري عام ١٥٣، وأنساب القرشيّين ١٨٦، ٤٣٥.
(٢) الطبري ٢٩٦٩/١، تاريخ المدينة لابن شبّة ١١١٧، ١١١٨.
(٣) أنساب الأشراف ٢ ـ ٣٨٧/١، ٥٠/٥.
(٤) المصدر نفسه ٥٠/٥.
(٥) الولاة للكندي ٣٣.
(٦) تاريخ المدينة ١١٢٣، ١١٢٥، الطبري ٢٩٩٣/١.
(٧) ابن سعد ٣ ـ ٥٩/١.

والسيطرة على الفسطاط، غير أن نجاحه لم يكن تاماً، فلم يؤيده عدد ملحوظ من أهل تلك البلاد وقد اعتزله شيعة عثمان وبارزوه، وهم معاوية بن حديج (السكوني) وخارجة بن حذافة وبسر بن أبي أرطأة، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، وعمرو بن قحذم الخولاني، ومقسم بن أبجرة، وأسعد بن مالك الأزدي، وخالد بن ثابت الفهمي، في جمع كثير ليس لهم من الذكر ما لهولاء، وبعثوا سلمة بن مخرمة التجيبي ثم أحد بني زميلة إلى عثمان ليخبره بأمرهم ويصنيع ابن أبي حذيفة[1] له، وكانوا «عشرة آلاف» هم «وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم، وظلوا معتزلين الفتنة، ولم يبايعوا علياً» وكان هواهم مع معاوية[2]. ولما ولي محمد بن أبي بكر مصر أراد إخضاعهم بالقوّة فقاتلهم وقتل منهم مائة وثمانين رجلاً، ولكنه انهزم وقُتِلَ بعد أن تغيّب في غافق[3]؛ ويذكر الكندي أن الذي قاتل مع محمد بن أبي بكر قيس بن عدي اللخمي[4].

أرسل محمد بن أبي حذيفة جماعة، تذكر أكثر الروايات أن عددهم تسعمائة[5]. ويروي الطبري أنهم كانوا أربعة ألوية[6]، ولم يذكر عدد من كان يضمّه كل لواء.

وتتفق الروايات على أن أبرز رجل فيهم هو عبد الرحمن بن عديس البلوي، ويذكر من قال إنهم على أربعة رفاق، أن ثلاثة الألوية كان عليهم، سودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق الخزاعي، وابن النخاع[7].

غير أن روايات تذكر رؤساء آخرين، فيذكر الكندي من رؤسائهم كنانة بن

---

(١) الولاة للكندي ١٥.
(٢) المصدر نفسه ٢١.
(٣) أنساب الأشراف ٢ ـ ١/٥٣، الولاة للكندي ١٧، ١٩، ٣٠، وانظر الطبري١/ ٢٩٥٤.
(٤) الطبري ١/ ٢٩٥٤.
(٥) تاريخ المدينة لابن شبّة ١١٥٦، وفي روايه الزهري أنهم ٥٠٠، تاريخ المدينة ١١٧٨، الطبري ١/ ٢٩٦٨.
(٦) الطبري ١/ ٢٩٥٤، ٢٩٨٦، ٢٩٩١.
(٧) ابن سعد ٣ ـ ١/ ٤٤، ٤٩، أنساب الأشراف ٥/ ٩٥، ٦١.

بشر بن سلمان التجيبي، وعروة بن شنيم الليثي، وأبا عمر بن يزيل بن ورقاء الخزامي، وسودان بن أبي رومان الأصبحي، ودرع بن يشكر اليافعي، فضلاً عن ابن عديس[1]، ويذكر الطبري هذه الأسماء ويزيد إليها سودان بن حمران السكوني وقتيرة بن نحلان السلفي، ويقول «وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكّي.. وابن السوداء[2].

ويروى البلاذري أن الألوية كان عليها ابن عديس، وكنانة بن بشر وعروة بن سعد الكناني[3].

ويروى الواقدي أنّه كان عليهم عبد الله بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الكندي، وابن الحمق الخزاعي[4].

ويذكر ابن شبّة من رجالهم عبد الرحمن بن قيس التجيبي، وجماع أمرهم إلى محمد بن أبي حذيفة؛ ويقال إلى عبد الرحمن بن عبد قيس التجيبي، وعروة بن شيم الليثي، وأبي رومان الأسدي، ويودان بن عمرات التجيبي[5].

ويذكر الطبري أن جماع أمرهم إلى عمرة بن بديل بن ورقاء الخزاعي وإلى عبد الرحمن بن عيسى(عديس) التجيبي[6]، ويذكر في مكان آخر أن من أبرز رجالهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانه بن بشر[7].

ويروي البلاذري أن رئيس أهل مصر كنانة بن بشر السكوني ثم التجيبي[8]، ومن المفيد أن نشير إلى أن الواقدي يذكر ان المصريين عسكروا في ذي

---

(١) الولاة ١٧.
(٢) الطبري ١/ ٢٩٥٤.
(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٩٥.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٩٧، تاريخ المدينة ١١٥.
(٥) تاريخ المدينة ١٢٢٢.
(٦) الطبري ١/ ٢٩٩٨.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٤٣.
(٨) أنساب الأشراف ٥/ ٥٩.

خشب[1]، وأن عثمان أرسل لتهدئتهم علياً، ومحمد بن مسلمة[2]، وعمرو بن العاص[3]، وسعد بن أبي وقاص[4].

ويذكر الواقدي أنه «ما زال المصريون كافين عنه وعن القتال حتى قدمت أعداد العراق، فتقدموا إلى المدينة وحاصروا عثمان[5]، وكان من أبرزهم في الحصار محمد بن أبي بكر، وكنانة بن بشر بن عتاب، وسودان بن حمران، وعمرو بن الحمق الذي قتل في الحصار[6].

وذكر الطبري عن الواقدي في سبب سير المصريين إلى عثمان، «أموراً كثيرة منها ما تقدم ذكره ومنها ماخرجت عن ذكره لشناعته»[7].

وأشار ابن شبّة بسند عن عمرو بن يزيد إلى كتاب المصريين المتذمرين على عثمان؛ وقد ذكروا فيه أنه «يحل ما يشاء ويحرم ما شاء، ويعطل الحدود في القريب ويقيمها في البعيد، وأنه أخرج جماعة نصحوه من ديارهم أموالهم»[8]، وذكر في مكان آخر أنهم طلبوا منه أن «لا يأخذ أهل المدينة عطاء[9]، إنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله (ص)»، وذكر أنهم طلبوا منه أن «يرد كل منفي[10]، ويعطي كل محروم ويقيم كتاب الله وسنة نبيه، وأن يستعمل أولي القوة والإمارة، كما اتهموه بغلق باب الهجرة»[11].

---

(١) ابن سعد ٣ ـ ٢/ ٤٠.
(٢) أنساب الأشراف ٦١، ٦٣، ٨٩.
(٣) الطبري ١/ ٢٩٦٦.
(٤) الولاة للكندي ١٦، تاريخ المدينة ١١٣٠، وذو خشب يقع على بعد حوالى عشرين ميلاً شمالي المدينة.
(٥) ابن سعد ٣ ـ / ٥٠.
(٦) أنساب الأشراف ٥/ ٥٩، ٦١.
(٧) الطبري ١/ ٢٩٦٥.
(٨) تاريخ المدينة ١١٢٠.
(٩) المصدر نفسه ١١٣٣.
(١٠) المصدر نفسه ١١٣٧.
(١١) أنساب الأشراف ٥/ ٦٣.

إن هذه المطالب تعكس أحوالاً لم يرتضوها، وبعضها إدارية كمطالبتهم بأن «يستعمل أولي القوة والأمانة» دون أن يذكروا مدى سوء التصرف الذي جرى أو يسموا من لم تنطبق عليه هذه الصفات، وكذلك مطالبتهم بإعادة المبعدين.

وبعض هذه المطالب مالية كمطلبهم أن يعطى المحروم، ويوفر المال ولا يغلق باب الهجرة، ولا يأخذ أهل المدينة العطاء.

لم يذكر المتذمرون حالات فردية، أو أسماء أشخاص تذمّروا منهم، وإنما صاغوا تذمّرهم وفاقاً لأمورٍ واسعة تمتد من الاحتجاج على متولّي الأمر إلى ما يمس الشعب، خصوصاً المحرومين من العطاء، وسد باب الهجرة الذي معناه عدم إضافة المهاجرين الجدد إلى العطاء، والمبعدين ممّن لم تشر المصادر إلى عددهم، وأسباب إبعادهم أو جهات إبعادهم، وهي غير التجمير.

إن شكاوى المتذمّرين كافة ليست فكرية أو عقائدية، وإنما هي تتصل بأحوال ماديّة تمسّ قطاعاً غير ضيق من المقاتلة دون الارتباط بانتماءاتهم العشائرية؛ وإن تذمرهم منصبّ على ممارسات أمير المصر الذي يطبقها برضى، أو ربما بأمر من الخليفة، وليس على سوء تصرفات الخليفة وأحواله الشخصية؛ وإنّ رفع الشكوى إلى الخليفة راجع إلى أنه صاحب السلطة العليا والمرجع الأعلى، ولم يكن احتجاجهم على إشغاله منصب الخلافة أو تحاملاً على شخصه، ومطالبة بتنحّيه ليحل محله مرشح لهم، ولم يقترحوا اقتراحاً بطريقة لانتخاب الخليفة أو وضع قيود محددة على تصرفاته.

إن الحركة ضد عثمان هي الوحيدة التي تحرك فيها المصريون ضد الخلافة، لأسباب راجعة إلى الأحوال في مصر، أما بقية الحركات التي أسهم فيها المصريون فكانت من أحوال خارجة عن مصر، وكانوا تبعاً فيها ومساعدين لغيرهم، ومع أن بعض دوافعهم الأحوال المحلية، إلا أن التكتلات فيها قامت حول قيادات لم تكن في مصر، أو أنها أكثر تأثراً بالأفكار والعقائد التي اعتنقها أنصارها من خارج مصر؛ ولم تذكر المصادر عمق هذه الافكار ونطاقها ومدى

سعة امتدادها وعلاقتها بالتركيب القبلي، أو انعكاسها على الملاحم التي أهتم بها أهل الفسطاط الأولين، وإن لم يصلنا منها ما يوضح توجيهاتهم.

ويذكر الكندي أنه لما اتفق ابن أبي حذيفة ومعاوية على هدنة استخلف محمد بن حذيفة الحكم بن الصلت بن مخرمة، واعتزل معاوية بن حديج مع عشرة آلاف في خربتا على بعد قرابة خمسين ميلاً من شمالي الفسطاط.

ولمّا ولي علي الخلافة، ولي قيس بن سعد بن عبادة مصر، فلم يتحرّش بأهل خربتا، وكان يجري لهم العطاء، غير أنه لمّا ولي محمد بن أبي بكر مصر أراد إجبارهم على بيعة علي، فرفضوا وأرادوا البقاء في عزلتهم، فاشتبك معهم، وقتل في المعركة، وأعلن ابن حديج تأييد معاوية[1].

الخوارج في الفسطاط

ذكر ابن عبد الحكم أن عبد الرحمن بن ملجم اختط بالراية في أصحاب الزيت الدار المبني وجهها بالحجارة[2].

وذكر ابن دقماق أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي كانت له في الفسطاط خطة، هي دار مالك الصغرى بشارع الزياتين؛ وكان عمر بن الخطاب قد كتب إلى عمرو بن العاص يأمره أن ينزل لعبد الرحمن بن ملجم بقرب المسجد، ليعلّم الناس القرآن، وكان قد قرأ على معاذ بن جبل باليمن. ثم انتقل إلى مذهب الخوارج، وهو الذي اغتال الخليفة الإمام[3]. ولاترد من الأخبار مايدل على أن ابن ملجم كان عند مقامه بمصر يرى رأي الخوارج، كما أنها لا تذكر متى انتقل إلى الكوفة وانضم إلى الخوارج الذين ظهروا في موقعة صفين؟ولعل مما مهّد لانضمامه إليهم انه كان من القرّاء الذين كوّنوا عُظْمَ الخوارج الأوّلين.

ويقول ابن دقماق، كان أول من قدم من مصر برأي الخوارج حجر بن

---

(١) الولاة ١٩.

(٢) فتوح مصر، ١١٢.

(٣) في الانتصار لابن دقماق ٦؛ أن خطة ابن ملجم في مصر تدل على أنه كان من أهلها، وتثير التساؤلات عن قيامه باغتيال علي في الكوفة ليقوم بعمل معروفة نتائجه.

الحارث بن قيس المذحجي، ويقال حجر بن عمرو، ويكنى أبا الورد، شهد مع علي صفين، ثم صار من الخوارج، وحضر معهم في معرضة النهروان، وصار إلى مصر برأيهم، وأقام في المدينة حتى خرج منها إلى مصر[1]؛ وينقل المقريزي هذا الخبر بصيغة أنه خرج من مصر إلى ابن الزبير في ولاية مسلمة بن مخلد في مصر[2].

ولعلّ أبرز مجموعة من الخوارج في مصر هم الذين سيّرهم زياد بعد ثورة قريب وزحاف الخارجيين من البصرة، فأمر بتغريبهم عن أوطانهم، فسيّرهم إلى مصر وأميرها مسلمة بن مخلد، وكان عددهم نحواً ٢٣٠ رجلاً، فأنزلوا بالظاهر أحد خطط مصر، وكانت إذ ذاك طرقاً، فأراد أن يسير بهم ذلك الموضع، فأنزلوا في الموضع المعروف بكوم سراج، وكان فضاءً، فبنوا لهم مسجداً، واتخذوا سوقاً لأنفسهم فسمّي سويقة العراقيين[3]؛ وذكر ياقوت هذا الخبر وزاد أبياتاً للشاعر الخارجي عمران بن حطان فيهم[4]. وقد ورد ذكر سوق العراقيين[5]، والمسجد الذي فيها[6]، وهو قرب زقاق الكلبي[7]، وهو أبو رضوان عمر بن عبد الملك الكلبي[8]، ولها درب يؤدي إلى سويقة حبس ثباتة.

لم تذكر المصادر معلومات عن تنظيم الخوارج ودعوتهم في مصر، ويبدو من نص للمقريزي ثمار ذلك الجهد، إذ يذكر المقريزي أنه لما استقر الامر لمعاوية، كانت مصر وأهل شوكتها عثمانية، وكثير من أهلها علوية. ويذكر أنه لما مات يزيد ودعا عبد الله بن الزبير لنفسه قامت الخوارج في أمره، وأظهروا

---

(١) انظر ابن دقماق.
(٢) الخطط للمقريزي ٢/ ٣٣٧.
(٣) ابن دقماق ٣٤.
(٤) معجم البلدان ٢/ ٧٣٤.
(٥) ابن دقماق/ ٣٤، المقريزي ١/ ٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه ٨٢، المصدر نفسه ٢/١٠٧.
(٧) ابن دقماق ٢١.
(٨) المصدر نفسه ٢١.

دعوته، وكانوا يحسبونه على مذهبهم، وأوفدوا منهم وفداً إليه، فسار منهم نحو الألفين من مصر، وسألوه أن يبعث إليهم بأمير يقومون معه ويؤازرونه، وكان كريب بن أبرهة بن الصباح، وغيره ومن أشراف مصر، يقولون ماذا نرى من العجب من هذه الطائفة المُكْتَتِمَة تأمر فينا وتنهى، ونحن لا نستطيع أن نردّهم؛ ولحق بابن الزبير كثير من أهل مصر.

ويذكر من أبرز زعمائهم حجر بن الحارث بن قيس المذحجي الذي خرج من مصر إلى ابن الزبير في إمارة مسلمة بن مخلد الأنصاري[1]. وكان من المتمسّكين بابن الزبير عدد من المعافر، ضرب مروان أعناق ثمانين منهم، كما ضرب عنق الأكدر بن حُمام سيد لخم وشيخها، وثار لمقتله ثلاثون الفاً، ثم هدأهم كريب بن أبرهة[2]، بيد أنّ المصادر لا تذكر الدافع لتعصب المعافر والأكيدر، ألأنّهم زبيريون أم لأنهم خوارج.

حركة ابن الزبير وامتداد الخوارج

لما توفي يزيد بن معاوية وتنازل ابنه معاوية عن الخلافة، شغرت هذه الخلافة، وهي السلطة العليا في الدولة، فأحدث ذلك فراغاً أثار اضطرابات في الأمصار كافة وانتزى عدد يمارسون السلطة في مناطق محدودة، وادّعى بعضهم الخلافة وأحرزوا بعض التأييد في منطقتهم، وعمل بعضهم على توسيع سلطانه، ليكون الخليفة الوحيد؛ غير أن مروان بن الحكم ركّز جهوده في الهيمنة على بلاد الشام، واستطاع بالاعتماد على الأمويين وعلى من أيّده من العرب، ولا سيّما قبائل كلب ولخم وجذام واليمانية، أن يثبت سلطانه في بلاد الشام؛ وأما عبد الله بن الزبير فإنه اتخذ قاعدته في مكّة، واستطاع بسط سلطانه على الحجاز، وكانت تؤيّده مجموعة من القيسية في بلاد الشام إلى أن دحرها مروان وأخضعها لسلطانه بعد انتصاره عليها في مرج راهط.

---

(١) الخطط للمقريزي ٢/٣٣٧، الكندي ٤١.
(٢) المصدر نفسه ٢/٣٣٨، المصدر نفسه ٤٢.

ثم مد سلطانه إلى العراق، وتقدم إلى الكوفة وقضى على المختار الذي كان قد هيمن عليها معتمداً على الموالي، مما أثار كثيراً من العرب ولاسيّما أشرافهم، وبذلك أمن سيطرة ابن الزبير على العراق.

أما خراسان فقد حدثت فيها انقسامات ومشاحنات وقتال بين من فيها من العرب، لمنافسات محلية لم يتدخل فيها الأمويون أو ابن الزبير[1].

وأما مصر فكان يليها يزيد بن سعيد بن يزيد الفهري، ولم يكن ذا شخصية مهيمنة، «ولم يزل أهل مصر بالشنآن له والإعراض عنه والتكبّر عليه حتى توفي يزيد[2] فنشط مصريون في الدعوة لابن الزبير والانضمام إليه».

يقول الكندي «ولحق بابن الزبير، قسم من أهل مصر منهم أبو عبيدة، وعياض ابنا عقبة بن نافع الفهري، وأبو بكر بن القاسم بن قيس العذري، وحيان بن الأعين الحضرمي، وحجبة بن الأسود الصدفي[3]؛ والأربعة الأولون من عشائر حجازية، أما الاثنان الأخيران فهما من عشائر يمانية.

ترجع بعض المصادر بعض تأييد أهل مصر لابن الزبير إلى دعم الخوارج الذين ورد أول ذكر لهم في مصر في زمن معاوية، فيقول البلاذري، «كان معاوية سيّر حارثة بن صخر إلى مصر، فلقي قوماً من الخوارج فأمالوه إلى رأيهم فصار خارجياً، وقدم المراقبون الذين خرجوا على زياد فأبعدهم لذلك، فبلغ ذلك زياداً فطلبه، فهرب، ثم قتل في وقعة الحرة»[4]، ومن المحتمل أن حارثة اتصل بالأزد الذين أبعدهم زياد إلى مصر وكانوا خوارج، على الرغم من أن المصادر لم تذكر ذلك بصراحة.

ذكرالواقدي «وكان مع ابن الزبير قوم قدموا على ابن عديس من مصر، ثم

---

(١) انظر تفاصيل عن ذلك في الطبري؛ وانظر: "الدولة العربية" لولهاوزن، وانظر دراسة عبد الأمير دكسن عن عبد الملك.
(٢) الولاة للكندي ٤١.
(٣) المصدر نفسه ٤٠.
(٤) أنساب الأشراف ٤ ـ ٢/ ١٥٠.

صاروا خوارج ذوي شجاعة وبأس، فقاتلوا معه وكانت لهم نكاية»[1].

أما الكندي فيشير إلى أنه لما أعلن عبد الله بن الزبير دعوته «فقامت الخوارج الذين بمصر في أمره، وأظهروا دعوته، وكانوا يحسبونه على مذهبهم، فكان كريب بن أبرهة بن الصباح وغيره من أشراف أهل مصر يقولون: ماذا نرى من العجب إن هذه طائفة مكتومة مكتتمة فينا تأمر وتنهى، ونحن لا نستطيع طردهم».

ويقول كذلك إن ابن الزبير بعث إليها (مصر) بعبد الرحمن بن جحدم الفهري، فقدمها في طائفة من الخوارج، فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم، ومرّ على ابن حجدم بجمع كثير من الخوارج الذين كانوا مع ابن الزبير من أهل مصر وغيرهم، فأظهروا التحكيم ودعوا إليه، فاستقام الجند بعد ذلك وبايعه الناس[2].

إن الخوارج هم في الأصل مجموعة من القرّاء لهم أفكار سياسية مصطبغة بطابع ديني، فهي فرقة يجمع أفرادَها أساسٌ من الأفكار، وليس العصبية القبلية، ومع أن أول ظهورها كان إبان معركة صفّين، عندما رفضت التحكيم وأبدت آراءها الشاجبة لكلّ من علي ومعاوية؛ إلّا أنها توسّعت وتطوّرت أفكارها مع احتفاظها بتمجيد موقفها التاريخي من التحكيم وخلافة علي ومعاوية، وأقرّت حمل السلاح ضد الحكومة التي يرون أنها لا تتوافر فيها الشروط. وبمقتل علي أصبح الخليفة الأموي هو العدوّ البارز في نظرهم، ومع أن آراءهم سياسية عامة، إلا أنها أكثر تأثراً بأحوال المقاتلة العرب ومعاناتهم، وكان أكثرهم من هؤلاء المقاتلة، والمدربين على القتال، والمتذمّرين من أوضاع تمسّ تطور المجتمع العربي، وظهور جماعة ذات نفوذ، وإهمال جماعات متزايدة من إعادة المقاتلة. ولعلّ تفاصيل آرائهم في نقد النظام القائم ينسجم مع تذمّرات عدد غير قليل من الناس، وربما كان يدفع إلى حصولهم على تأييد ومحاباة أعداد كبيرة،

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٦١.

(٢) الولاة للكندي ٤١ ـ ٤٢، وانظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١/ ١٦٥.

ولا يعني التعاطف مع الخوارج أن المتعاطفين يكونون قوام هذه الفرقة التي تطلب من أفرادها حمل السلاح بوجه السلطة القائمة عند الضرورة، وقد عبر عن نشاطهم ما نسب إلى كريب بن أبرهة في قوله: «إن هذه طائفة مكتومة مكتتمة تأمر فينا وتنهى ونحن لا نستطيع أن نردهم» وقول الكندي بأن الجند استعظموا ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب ناس ممن استاء من بني أمية[١].

إن النصوص التي أوردناها آنفاً تظهر أن الخوارج في مصر كانت بذرتهم من الطُّرّاء عليها، ولكنها جلبت أعداداً متزايدة من المصريين، ولعل تفاصيل آرائهم كانت متأثرة بالاوضاع المحلية في الفسطاط، وإن مثلهم كانت منسجمة في خطوطها العامة مع خوارج الأقاليم الأخرى، مع العلم أن المصادر لم تذكر قادة موجهين فيهم بمصر، كالذين ظهروا في العراق واليمامة.

مهّد الخوارج في مصر لابن الزبير قاعدة شعبية استند إليها، وقوة عسكرية تؤمّن سيطرته ودعمه، ولعلّ قوى أخرى عملت بجانبهم في دعم تأييد المصريين لابن الزبير، متأثرين بالفراغ الذي أحدثه تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة، وضعف الوالي الأموي سعيد بن يزيد الفهري، والعيوب التي كانت في النظام الإداري للأمويين؛ وذكرت المصادر أعداد بعض القوات العسكرية المصرية وأسماء عدد من بارزيهم، غير أنها لم تستوعب أرقام المشاركين في كل الأحداث أو تميّز عدد الخوارج من غيرهم.

يذكر الكندي «ولحق بابن الزبير ناس من أهل مصر، منهم أبو عبيدة وعياض ابنا عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، وأبو بكر بن القاسم بن قيس العذري وحيان بن الأعين الحضرمي، وحجبة بن الأسود الصدفي. وبعث ابن الزبير إليها بعبد الرحمن بن جحدم الفهري. فقدمها في طائفة الخوارج، فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم» ويتابع كلامه فيقول، «قدم ابن جحدم بجمع كثير من الخوارج الذين كانوا مع ابن الزبير بمكة من أهل مصر وغيرهم، فيهم

---

(١) الولاة للكندي ٤١.

حوشب بن يزيد وأبو الورد حجر بن عمرو وغيرهم، فأظهروا التحكيم ودعوا إليه»[1]، ويذكر أنه لما حاول مروان بن الحكم استعادة سيطرة الأمويين على مصر «بعث ابن جحدم بمراكبه في البحر (...) عليها الاكدر بن حُمام اللخمي، وقطع بعثاً في البر استعمل عليه السائب بن هشام بن كنانة العامري، وبعث بجيش وعليهم زهير بن قيس البلوي إلى أيلة ليمنع عبد العزيز من المسير إليها». ويلاحظ أن قادة القوات الثلاثة من عشائر الحجاز وهي (لخم وعامر وبلي).

ومما يكمل البحث ما حدث عندما تقدم مروان بن الحكم لاستعادة مصر[2] إذ دحر قوة قوامها ثلاثة آلاف فارس عليهم السائب بن هشام العامري، وتقدم وعسكر في عين شمس واشتبك مع القوات التي حشدها ابن جحدم والي عبد الله بن الزبير «فخرج ابن جحدم في أهل مصر فتحاربوا يومين ثم رجعوا إلى خندقهم. أهل مصر يقاتلون يوماً، ثم يرجعون ويخرج غيرهم، واستمر القتال في المعافر، وقتل جمع منهم، وقتل كثير من أهل مصر ومن أهل الشام أيضاً، ويروي الليث أن عدد من قتل مروان ثمانين رجلاً من المعافر دعاهم إلى بيعته فأبوا وقالوا إنا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لنشكك ببيعته، أما ابن مروان فبايعه الناس إلا نفراً من المعافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير»[3].

ثم قتل مروان الأكدر بن حمام، وكان سيد لخم وشيخها، وكان ممن حضر فتح مصر هو وأخوه، وكانا ممن سار إلى عثمان، وأثار مقتله استياء الجند «فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه، فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفاً» ولم ينفضوا إلا بعد أن هدّأهم كريب بن أبرهة[4].

كان أثر الخوارج في تحريك الناس لتأييد ابن الزبير قوياً، امتد إلى مؤيّدي

---

(١) الولاة للكندي ٤١.
(٢) أنساب الأشراف ٥/١٤٨ ـ ٩.
(٣) الولاة للكندي ٤٤ ـ ٤٥.
(٤) المصدر نفسه ٤٥، وانظر عن مقتل الأكدر، أنساب الأشراف ٥/١٥٠، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١/١٦٦.

الأمويين؛ يقول الكندي، في دعوة الخوارج لابن الزبير، «فاستعظم الجند ذلك، وبايعه الناس على غل من قلوب ناس من شيعة بني أمية، منهم كريب بن أبرهة، ومقسم بن بجرة التجيبي وزياد بن حناطة التجيبي وعابس بن سعيد وغيرهم»[1] ولعل بعض ذلك راجع إلى عدم إشغال أموي الخلافة، ثم تقوت عزائمهم ببيعة مروان؛ وكانت شيعة من أهل مصر دعوه إليها وهم في العلانية مع ابن جحدم[2]، والواقع أن مروان اعتمد في استرجاع مصر على الجيش الذي جاء به من الشام، وقوامه أربعة آلاف رجل، واستطاع دحر ابن جحدم وإرغامه على قبول الصلح والتسليم، وكان كريب وعابس وزياد وعبد الرحمن بن موهب ممّن قاموا بالصلح بين ابن جحدم ومروان[3]. وعابس، «أعرابي مدري من شيعة مروان وممن يكاتبه بالطاعة مع جميع وجوه أهل مصر[4]، وقد جمع له القضاء والشرط»[5].

وجدير بالذكر أنه في سنة ٧٢هـ وجه بعث البحر لقتال ابن الزبير، وجعل عليهم مالك بن شراحيل الخولاني، وهم ثلاثة آلاف رجل[6]، ولعلّه فعل ذلك لاطمئنانه لإخلاصهم له، وعدم ممالأتهم لابن الزبير، فقد كانوا مستعدين لقتاله حتى في مكّة، وهي الحرم المقدّس عند المسلمين.

متابعة الخوارج نشاطهم في مصر

لم يُقض على الخوارج في مصر؛ ففي سنة ٩١هـ «تعاقدت الشراة بالإسكندرية على الفتك بعشرة بن شميك*وكان قائدهم المهاجر بن أبي المثنى التجيبي، وفيهم ابن أبي أرطأة التجيبي، وكانت عدتهم نحو مائة» ولكن قرّة

---

(١) الولاة للكندي ٣٠.
(٢) المصدر نفسه ٤٤.
(٣) المصدر نفسه ٤٤.
(٤) المصدر نفسه ٣١٣.
(٥) المصدر نفسه ٣١١.
(٦) المصدر نفسه ٥١.

قضى على حركتهم[1].

وفي سنة ١١٧هـ خرج وهيب اليحصبي شارياً بالفسطاط احتجاجاً على بناء كنيسة بالحمراء.. وكان وهيب (مدرياً) من اليمن قدم إلى مصر؛ فخرج القراء على الوليد بن رفاعة غضباً لوهيب، ولكنه قضى على حركتهم[2].

وذكرت كتب الفرق المبادئ العامة التي كان يدعو إليها الخوارج، وهي مبادئ استقرت عبر مدة غير قصيرة من الزمن، مرّت خلالها بتطورات شتّى، وأسهم في توجيهها عدد غير قليل من مفكّريهم، إلا أن المصادر لم تذكر معلومات مفصّلة عن تطوّر أفكارهم واقتصرت في كلامها، عن نشاطهم في مصر، على ذكر عموميات دون التفاصيل في أسماء رجالهم، أو السمات المحددة لأفكارهم، وأساليب نشرهم دعوتهم، ومدى مقدارها، مع العلم أن دعوتهم قائمة على «الأفكار» وليس على «العشائرية» وأنه كان لعيوب النظام القائم أثر في جلب عدد من أنصارهم والمتعاطفين معهم؛ ولا سيّما المقاتلة منهم، ولم تتأصل حركتهم في مصر كما حدث لها في البحرين أو في أقاصي شمال إفريقية.

أهل مصر وخلافة مروان بن محمد

تعرضت مقاتلة الفسطاط إلى أزمة ثالثة عندما ولي مروان بن محمد الخلافة، واعتمد على المقاتلة العرب في الجزيرة الفراتية، وأكثرهم من قيس، «وكان منحرفاً عن اليمن، مكرماً لهم، ليس مائلاً عليهم، فكان يعزل أهل اليمن ويولي قيساً ويقدّمهم[3]»، فثار عليه مقاتلة أهل الشام، وأغلبهم يمانية.

ومرّت مصر بعد القضاء على حركة ابن الزبير، باستقرار سياسي، وانشغل أهلها بالمشاركة في الحملات البحرية والبرية، غير أن الاضطرابات التي حدثت

---

(١) الولاة للكندي ٦٤.
(٢) المصدر نفسه ٧٧ ـ ٨.
(٣) المصدر نفسه ٨٨، تاريخ الموصل للأزدي ١٣١.

بتولي مروان بن محمد الخلافة كان لها صدى في مصر، وأكثر أهلها يمانية، فقد عارض ثابت بن نعيم الجذامي «خلافة مروان»[1] وقدم من نصره من اليمانية فخطبوا في مسجد مصر، ودعوا إلى خلع مروان، فلم يخالفهم أحد إلا يزيد بن أبي أمية المعافري، وقالوا تفسدون جندنا وتشيعوا أمرنا؛ وحرضهم من جاء من حمص[2].

وامتنع المصريون من بيعة مروان، وأيده بعض الأمويين «وخرج زبان بن عبد العزيز بن مروان ببني أمية ومواليه من أرض مصر، ومع زبان جمع من قيس، فقاتلوا ثابتاً فهزموه»[3].

ثم ولّى مصر حوثرة بن سهيل الباهلي، وأرسله في عشرة آلاف[4] «فسار إليها ومعه عمرو بن الوضاح في الوضاحية، وهم سبعة آلاف، وعلى أهل حمص نمير بن يزيد بن علي بن حصين بن نمير الكندي، وعلى أهل الجزيرة موسى بن عبد الله الثعلبي، وعلى أهل قنسرين أبو جمل بن حمة بن قيس الكندي، فاستطاع حوثرة أن يهزم أهل مصر بعد ان رفض الجند القتال[5]. ثم بعث في طلب رؤساء الفتنة ووجوههم، وهم محمد بن شريح بن ميمون المهري، وعمرو بن يزيد الشيباني، وعقبة بن نعيم الرعيني ويزيد بن حسروق الحضرمي، ومحمود بن سليط الجذامي، وأيوب بن برغوث، وضرب عنق رجاء بن الشييم، وعمرو بن سليط وابن أبي برغوث الرواع، ومحمد بن شريح المهدي وعقبة بن نعيم ومهدي بن برغوث.

ثم إن حوثرة فرض لشيعة مروان ومن كان يكاتبه (مروان) فروضاً في الخاصة ففرض لزبان بن عبد العزيز في موالي بني أمية ألفاً، وفي قيس ألفاً، وفرض لزيد بن أبي أمية المعافري في ثلاثمائة[6].

---

(١) الولاة للكندي ٨٥.
(٢) المصدر نفسه ٨٦.
(٣) المصدر نفسه ٨٧.
(٤) تارايخ الوصل للأزدي ١٣٦.
(٥) الولاة للكندي ٨٨.
(٦) المصدر نفسه ٩٠.

وعقد حوثرة لمحمد بن زبان بن عبد العزيز مع الجند، وأنفذ معه أهل الديوان إلى العريش، فقتل عوض بن حران المحصص، وطلبوا ثابت بن نعيم الجذامي حتى أسروه، ثم قتل يزيد بن موسى بن وردان، وحفص بن الوليد. ففقدت حضرموت رجلاً من أركانها[١]، ثم بعث مروان حوثرة إلى العراق ليساند واليها يزيد بن عمر بن هبيرة الذي كان يقاوم تقدم جيش الثورة العباسية[٢].

وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان وتابعه الرماحس الكناني في جمع من قيس وعاثوا في الحوف الشرقي فساداً، فأرسل اليهم مروان سبعة آلاف من أهل الديوان فقضى على ثورتهم[٣]. وأيده عدد من أسرة عبد العزيز مروان، فقضى زبان بن عبد العزيز على تمرد أهل الحوف الشرقي[٤].

ولما تقدم مروان إلى مصر بعد هزيمته في معركة الزاب أجمع جند مصر على منعه من دخولها، وولّوا أمرهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن عميرة الحضرمي، ولكنهم لم يقفوا بوجهه، فدخل مصر؛ بَيْدَ أنّ أهل الحوف الشرقي أعلنوا تأييدهم للعباسيين وسوّدوا، وكان أول من سوّد فيها شرحبيل بن حذيفة الكلبي؛ ثم سوّد الأسود بن نافع حفيد عقبة بن نافع بالإسكندرية، وعبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله بن مسروق الجيشاني بصعيد مصر، ويحيى بن مسلم بن الأشجّ مولى بني زهرة بأسوان[٥]؛ ولم يلق مروان في الفسطاط تأييداً إلا من بعض رجال من آل عبد العزيز بن مروان[٦]، ولكنهم كانوا أقل وأضعف

---

(١) الولاة للكندي ٩٠.
(٢) المصدر نفسه ٩٢.
(٣) المصدر نفسه ٩٤.
(٤) المصدر نفسه ٩٦.
(٥) المصدر نفسه ٩٤ ـ ٥، ويذكر ابن دقماق أن أوّل من سوّد بالحوف الشرقي شرحيل بن حذيفة ٣٩.
(٦) المصدر نفسه ٩٦، ٧٩، ١٠٠.

من أن يمكّنوه من الصمود بوجه الجيش العباسي الذي تابع مطاردته إلى أن قتل في بوصير.

يتبيّن من هذا السرد العام الذي قدمه الكندي، ولم ترد معلومات تغنيه أو تعارضه، أن المواقف السياسية للفسطاط كانت قائمة على رجال بارزين محدودي العدد، ومن أصول قبلية منوّعة، ولهم مكانات شخصية لم تذكر المصادر اسمها، فهي حركات «أوليجاركية» وليست شعبية عامة، أو ذات جذور عقائدية متأصّلة، وإن الانتصارات الدولية التي تحظى بها موقتة غير دائمة، وإن إزالتها يعتمد على القوة، وليس على أفكار واضحة متأصّلة.

العلويّون في الفسطاط

أول ذكر لنشاط العلويين في مصر يرجع إلى سنة ١٣١هـ عندما «قدم إلى مصر داعية عبد الله بن يحيى طالب الحق فدعاهم، فبايع له ناس من تجيب وغيرهم، غير أن حوثرة قتله وقضى على حركته[١]، ووجه محمد بن عبد الله ابنه علياً، ووجّه معه أخاه موسى بن عبد الله فأُخِذَ علي، ونجا موسى[٢].

ذكر الكندي أن دعوة بني حسن بن علي بمصر، ظهرت في ولاية يزيد بن حاتم، وتكلم الناس عليهما وبايع منهم لعلي بن محمد، وهو أول علوي قدم مصر، وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي، وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي بن أبي طالب وشيعته وحضر الدار، غير أن يزيد قضى على ثورته[٣] ومرّ إدريس (ابن عبد الله) بمصر ولكنه لم يقم بها وغادرها إلى المغرب[٤]، ولعله أدرك عدم وجود من يستجيب لدعوته فيها.

وفي سنة ٢٣٥هـ «ورد كتاب المتوكل والمنتصر إلى إسحاق (والي مصر) بإخراج الطالبيين من مصر إلى العراق، وفرض لهم الأموال ليتحملوا بها فأعطى

(١) الولاة للكندي ٩٢.
(٢) مقاتل الطالبيين للأصفهاني ٢٠١.
(٣) الولاة للكندي ١١١ ـ ١١٥.
(٤) مقاتل الطالبيين للأصفهاني ٤٨٨.

كل واحد منهم ثلاثين ديناراً، والمرأة خمسة دنانير، وفُرقت فيهم الثياب، ثم خرجوا من الفسطاط في ١٠ رجب سنة ٢٣٦هـ فقدموا إلى العراق[١]، وأمروا بالخروج إلى المدينة في شوال من تلك السنة[٢].

وفي رمضان سنة ٢٤٨هـ، ثار أبو علوي، ولكن قضي على حركته، وأخرج هو وجميع آل أبي طالب[٣]؛ وفي سنة ٢٤٩هـ ورد كتاب المنتصر بأن لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرساً، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها، وأن يمنعوا من اتخاذ عبيد إلا العبد الواحد، وإن كانت بين أحد من الطالبيين وسائر الناس خصومة قُبِلَ قول الخصم، وكتب المنتصر كتاباً بذلك.

وفي السنة التالية أخرج يزيد ستة رجال من الطالبيين إلى العراق[٤].

وأشار الكندي إلى القديرية وثوراتهم في أوائل العصر العباسي، ففي سنة ١٧٤هـ، ثار الجند الذين يقال لهم القديرية بصاحب الخراج عمر بن غيلان فطالبوه، يدفع أعطياتهم، فبعث إبراهيم صالح من خراج القديرية عن مصر، فأخرجوهم من الفسطاط إلى المغرب والمشرق، وجعل منهم عالماً في البحر إلى الشام فظفرت بهم الروم فأسرتهم[٥].

(١) الولاة للكندي ١٩٨.
(٢) المصدر نفسه ٢٠٣.
(٣) المصدر نفسه ٢٠٤.
(٤) المصدر نفسه ٢٠٤.
(٥) المصدر نفسه ١٣٣.

الفصل التاسع

النكبات المدمرة

تعرضت الفسطاط وأهلها إلى عدد من الأخطار بسبب الكوارث الطبيعية أو الاضطرابات السياسية، فقد اجتاحتها أوبئة. وأصابتها موجات غلاء، ذكر المقريزي منها ماحدث في سنة ٨٧هـ وكان أول غلاء وأول شدة رآها المسلمون بهم. ثم حدث غلاء في كل من سنة ٣٣٨هـ وسنة ٣٤١هـ، وفي سنة ٣٥٢هـ دام الغلاء تسع سنين متتالية، ثم تلاه الغلاء الذي حدث سنة ٣٨٧هـ، ثم سنة ٣٩٨هـ، وقد عولجت هذه كلها بما يسّر إعادة الأوضاع إلى أحوالها الطبيعية إلى أن وقع الغلاء في سنة ٤٤٤هـ ودام سبع سنين[١].

غير ان أشد غلاء ما حدث سنة ٤٥٧هـ ودام سبع سنين، وكان له تأثير في هجرة الناس وشدة معاناة من ظل مقيماً منهم[٢]، وعدّ المقريزي هذه الشدة أول حادثة سببّت خراب الفسطاط[٣]، وقال «وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع فيما بين مصر والقاهرة، وفيما بين مصر والقراصنة[٤].

ذكر المقريزي تفاصيل عن آثار هذه الشدة على أهل الفسطاط وعمرانها فقال «فمات أهلها، وخربت ديارها، وتغيّرت أحوالها، واستولى الخراب على الفسطاط الغربي والشرقي. فأما الغربي فمن قنطرة بني وائل حيث الوراقات

---

(١) إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي ١١ ـ ٢٣.
(٢) المصدر نفسه ٢٤ ـ ٢٦.
(٣) الخطط للمقريزي ١/٣٣٥.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٣٧.

الآن قريباً من باب القنطرة خارج مدينة مصر إلى الشرق المعروف الآن بالرصد في الطريق إلى القرافة الكبرى.

وأما الشرقي فمن طرق بركة الحبش التي تلي القرافة إلى نحو جامع ابن طولون. ثم دخل أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر في سنة ٤٦٦هـ، وهذه المواضع خاوية على عروشها، خالية من سكانها، قد أبادهم الوباء والتباب، وخطفهم الموت والخراب. ولم يبق بمصر إلا بقايا من الناس كأنهم أموات، قد اصفرّت وجوههم، وتغيّرت، من غلاء الأسعار وكثرة الخوف من العسكرية، وفساد طوائف العبيد والملحية، ولم يجد من يزرع الأراضي. هذا، والطرقات قد انقطعت بحراً وبراً إلّا بخفارة تكلّف كثيراً، وصارت القاهرة أيضاً يباباً دائرة، فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن، وكل من وصلت قدرته إلى ممارسة ان يعمر ماشاء الله في القاهرة، وكان هذا كله وقت اختط الناس فيها القاهرة[1].

ويذكر المقريزي أنّ أحوال الفسطاط تراجعت بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة[2].

وإن هذا الغلاء قد استشرى بسبب ما كان من اختلاف الكلمة ومحاربة الأجناد بعضهم بعضاً، مما زاد أمور الدولة اضطراباً، وأحوالها اختلالاً ورسومها تغيّراً من سنة ٥٠هـ إلى ٥٧هـ، وامتدت إلى سنة ٦٤هـ، ثم أخذ البلاء ينحسر من سنة ٦٤هـ حين قدم أمير الجيوش بدر في سنة ٧٧هـ[3] فاتخذ الحزم، وقتل عدداً من المتنفّذين في الفسطاط وأمر بإخلاء مصر ممن كانوا قد تمرّنوا على الفساد ونشأوا في الفتن، واعتادوا مضرة الخلق؛ وبصلاح أحوالهم من ذلك صلحت الديار المصرية بعد فسادها وعمرت بعد خرابها[4].

إن الحدث الثاني الكبير الذي تسبب في انهيار الفسطاط هو حريق شاور سنة

---

(١) الخطط للمقريزي ١/ ٥، ٣٣٧.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧ ويذكر أن ساكنيها مائة ألف هلكوا جميعاً، معجم البلدان ٣/ ٩٠٠.
(٣) اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٩.

٥٦٤هـ، وقد قدم عنه المقريزي بعص المعلومات في كتابه إتعاظ الحنفا «حيث ذكر أن مري ملك الصليبيين تقدم إلى الجزيرة بعد ان اجتاح الوجه البحري، وهدّد بالاستيلاء على القاهرة، وكان شاور يواجه مشاكل تعيقه عن إقصاء مري، فبنى سوراً على مدينة الفسطاط، واستعمل فيه الناس، فلم يبق أحد من المصريين إلا وعمل فيه، وحفر فيه خندقاً وعمل في السور أبواباً»[1].

وذكر المقريزي أن بناء شاور السور على الفسطاط كان له وقع سيّئ فداخل الناس منه (مري) رعب شديد وخوف عظيم؛ ولما قصد مري القاهرة قام شاور بإحراق مصر، وأمر الناس بالانتقال منها إلى القاهرة، وحثّهم على الخروج منها فتركوا أموالهم وأثقالهم، ونجوا بأنفسهم وأولادهم وحُرَمهم، وقد ماج الناس واضطربوا اضطراباً عظيماً، واستمرت النار في المساكن أربعة وخمسين يوماً، والتهمت النار ما هناك[2]. ثم قال «وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان، فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو الآن كيان مصر، وتلاشى أمرها وافتقر أهلها، فذهبت أموالهم وزالت نعمهم»[3].

ويقول في مكان آخر إن مري نزل بكرة الجيش فنادى شاور بمصر ألاّ يقيم بها أحد، وأزعج الناس في النقلة منها، فتركوا أموالهم وأثقالهم وقد نجوا بأنفسهم، وقد ماج الناس واضطربوا كأنهم أخرجوا من قبورهم إلى المحشر لا يعبأ والد بولده، ولا يلتفت أخ إلى أخيه. وبعث شاور إلى مصر عشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار؛ فرّق ذلك فيها فارتفع لهيب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظراً مهولاً، فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر لتمام أربعة وخمسين يوماً، والتهمت العبيد ورجال الأسطول وغيرهم، وتهدّمت المنازل في طلب الخفايا، فلما وقع الحريق بمصر رحل من في بركة الجيش ونزل بظاهر القاهرة وقاتل أهلها قتالاً كثيراً، حتى زُلزلوا زلزالاً شديداً، وضعفت نفوسهم حتى كادوا يؤخذون عنوة، فصار شاور إلى مقاتلة الفرنج،

---

(١) اتعاظ الحنفا ٢/٢٩٦.
(٢) المصدر نفسه ٢/٢٩٦.
(٣) خطط المقريزي ١/٣٣٩، وانظر ٢/٢٥١.

وجرت أمور الناس إلى الصلح؛ فمن ذلك خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو الآن مصر، وتلاشى أمرها، وافتقر أهلها، وذهبت أموالهم، وزالت نعمهم.

ثم تابع المقريزي كلامه عن قصور أهل الفسطاط فذكر أن شيركوه أمر الناس بالعودة إلى الفسطاط «فشكوا ما بهم من الفقر والفاقة والمنازل وقالوا إلى أيّ مكان نرجع، وفي أي مكان نأوي، وقد صارت كما ترى، وبكوا وأبكوا فوعدهم جميلاً، وترفّق بهم فنودي في الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجع إليها الناس قليلاً قليلاً، وعمروا ما حول الجامع إلى ان كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل أبي بكر في خمس وست وخمسمائة، فخرب من مصر جانب كبير.

ثم تحايا الناس بها وأكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل لمّا عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة، وصار بمصر عدة أدر جليلة وأسواق ضخمة[(١)].

كان الغلاء بمصر فاحشاً واشتدّ الوباء في أيام الملك العادل سنة ٦٩٦هـ فخرب كثير من مساكن مصر، وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة إلى سنة ٧٤٩هـ، فحدث الفناء الكبير الذي أقفرت بسببه معظم دور مصر وخربت[(٢)].

ثم تحايا الناس من بعد الوباء، وصار ما يحيط بالجامع العتيق على شط النيل عامراً إلى سنة ٧٧٦هـ ثم حدث الوباء بعد الغلاء، فخرب كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيئاً بعد شيء إلى سنة ٧٩٠هـ وعظم الخراب في خط زقاق القناديل وخط النحاسين، وشرع الناس في هدم دور مصر وبيع أنقاضها حتى صارت على ما هي عليه الآن[(٣)].

---

(١) خطط المقريزي ١/٣٣٩.
(٢) إغاثه الأمة ٣٢٢ ـ ٤٨.
(٣) خطط المقريزي ١/٣٣٩، وانظر اغاثة الأمة ٤٠.

المحتويات

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع